الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

البنية النحوية والصرفية ودلالتها البلاغية في سورة الأنعام

- دراسة وصفية تحليلية -

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة

إعداد الطالب:
عبيدلي أحمد

إشراف:
الأستاذ الدكتور: رابح دوب

السنة الجامعية: 1425- 1426
2004 - 2005

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مُقَدِّمَة

لقد نزل القرآن باللغة العربية فأجراها في ظاهرها على بواطن أسرارها، وجاء بها في ماء الجمـــال أملأ من السحاب ، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب بما تناول فيها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز ، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز ، وما ركّبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب وتحوُّل الـــبنى والتراكيب ، فأظهرها بمظهر لا يُقضى العجب منه ، وجلاّها على التاريخ كلّه ، فأخرص جيلا تنـــاهى في الكبرياء بها ، وأصبغ عليها من كل حسن بديع ، حتى لم يدر هؤلاء الغرّر أكانوا يسمعون شعرا أم سحرا أم خطابا معجزا ترتسم فيه معالم الخلود إلى حين اليوم الموعود .

ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث محاولة لكشف بعض خبايا بُنى النص القرآني وتراكيبـــه ، ومـــا أُودع فيها من أسرار الدلائل وعيون المعاني ، ذلك أنّ إشكالية هذا البحث هي من قبيل القديم المتجدّد وإن خرجت في كل عصر بحسب اصطلاحات أهله ،فقد تناولها القدامى في بحثهم لعلاقة المعنى باللّفظ والمـــبنى وكما تكلّم فيها الإمام عبد القاهر الجرجاني في نظريته المعروفة باسم "النظم" ، ومن ثَمَّ أردت أن أجيب في هذه المذكرة عن معضلات عدّة تتعلّق بما سبق، والتي يمكن أن نسوق بعضها فيما يلي:

– ماأثر التركيب النحوي في الدّلالة بصورة عامة؟ ،وما يمكن أن يضيفه من معان تكميلية أو ثانوية مـــن شأنها أن تبرز الفرق بين البُنى التي تظهر أنّ لها نفس المضمون أو تلك التي يتقارب منوالها التركيبي بصـــفة أخص ؟، وهل يلتزم في النمط الواحد من التركيب نفس الدلالة البلاغية؟، وما الفرق بين التركيب الإسمي والفعلي المثبت منهما والمنفي في آداء المعنى؟، والأمر نفسه بالنسبة للمفردة باعتبارها هي الأخرى إحـــدى أهم عناصر البناء اللغوي من جهة، وباعتبارها مستودعا تختزن فيه المعاني وعنصرا جماليا فاعلا في الخطـــاب من جهة ثانية ،فهي وإن لم تخرج عن أعلى طبقات اللغة ولا برزت عن وجوه العادة في تصريفها ، غير أنها أتت من وراء النفس واستغرقت منافذ الحس ، ومن ثَمَّ فقد اكتسبت بعدا بلاغيا وإبلاغيا يجعل منها حقلا خصبا للدراسة، وللتساؤل عن ذلك السر، فما أثر الوزن الصرفي للمفردة في توضيح الدلالة ؟، وما دلالـــة أصواتها على معانيها؟.

ثمّ إنّ هذا البحث نحاول على ضوئه أن نميط اللّثام عمّا يجمع بين علوم الصوت والصرف والنحـــو والبلاغة من وشائج فتغدوا من خلاله كيانا لغويا موحّدا هدفه الأسمى بيان الدّلالة بأفضل طريق وأحســـن حلّة .

ونظرا لما اتسمت به سورة الأنعام من تعدد في الأساليب ، وتفنّن في البنى والتراكيب ، فقد جـــاء اختيارنا لها على أنّها نمط متميز يجمع بين خصيصتين ، ذلك أنّها مكيّة نزلت جملة واحدة ، وأنّها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنّبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين الملحدين فاكتسبت ميزات هذا النوع من رصانة المباني وقوة المعاني ،واستخدام أساليب الترغيب والترهيب ، والتهديد والوعيد والمحاجّة ، ثم إنها تمد إلى أسلوب القرآن المدني بطرف باحتوائها على عدد غير قليل من آيات التشريع فأردت الوقوف عليها مليّا أتأمّل ما فيها من نظم رشيق وأسلوب أنيق استلهم من فيضه الروحي والبلاغي ما يشدّ أزر كل مـــن أراد حياة هنيّة في رحاب هذا الكتاب المقدّس الذي شدّني سحره إلى التطلّع إلى فهم معانيه، ومعرفة جمالية لغته، وإعجازية نصه بمختلف جوانبه وأغراضه .

فحينما نبحث في السورة نجد ألفاظا قد سخرت لمعانيها أكسبتها رونقا وبهاءً، وإشراقة وضـــياءً فغدت دررا ناصعة ، فدعاني ذلك لاستجلاء نصاعتها والوقوف عندها من خلال البحـــث في تشـــكيلها الصوتي أو بنيتها الصرفية أو موقعها النحوي وما يتراءى في كل مستوى من هذه المستويات مـــن دلالات بلاغية.

كما جاء هذا البحث للاستفادة من لغة هذا الكتاب الكريم مع لحظ لبعض الظواهر اللّغوية الـــتي ميّزت هذه السورة من ناحية المبنى أو الدّلالة، ولذالك اخترت أن أعنونها ب" البنية النحويـــة و المفرداتيـــة ودلالتها البلاغية في سورة الأنعام"،مستعينا في ذلك بما كتبه علماؤنا الأسلاف، وقد كـــان باديـــا أنّهـــم يقصدون في مؤلّفاتهم الدعوة إلى الله ونشر الدّين الإسلامي وبيان مراد الله تعالى في كتابه خصوصا لمـــن لم ينشأ على لغة العرب ، كما تصدّى بعضهم لتلك الدّعوات التي حمل لواءها بعض الملاحـــدة والـــدجّالين الملبّسين على الناس أمر دينهم فقاموا بالردّ على شبههم ودحضها وتوجيه محكم القرآن و متشابهه انطلاقا من منهج علمي قائم على معرفة خصائص هذه اللغة .

ولكنّ الإقدام على تفسير القرآن الكريم وإظهار إعجازيته لم يكن بالأمر الهيّن إذ يكاد يُقصر هـــذا على العلماء الرّاسخين في العلوم العقلية و النقلية، ولعلّ المفسّرين هم أوّل من اضطلع بمثل هذا الدور فظهر تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطّبري (ت 310هـــ) المسمّى "جامع البيان عن تأويل آي القـــرآن" ، وفيه من المادة التي ندرسها الشيء الكثير ، والتي تتمثّل أساسا في تخريجه لوجوه القراءات وترجيحاته لبعض المسائل النحوية ، إلاّ أنّ غلبة الرواية عليه وعدم اكتمال نضج الدرس البلاغي في زمنه حالا دون أن يختصّ هذا التفسير بإيضاح الدّلالة البلاغية المستوحاة من التركيب النحوي كاملة .

ومن الدراسات السابقة التي تناولت العلاقة بين الدرس النحوي والبلاغي كتاب "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـــ) ،و الحق أنّ الكتاب يعدّ نقلة بعيدة امتزج فيها علم النحو بالبلاغـــة بعد طول فرقة ، وليس هذا بغريب فقد كان الرجل أنفذ حسّا من كل من كتبوا في هذا الباب على وجـــه العموم ، غير أنّ تطبيقاته على الشعر كانت أحظى في الكتاب من تطبيقاته على القرآن الكريم.

وفي القرن السادس يُطالعنا الإمام محمود بن عمر الزمخشري (ت 528 هـــ) بتفســـيره المســـمّى بـــ"الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ، حيث حاول فيه تطبيق مـــا قرّره عبد القاهر الجرجاني في نظريته التي ضمّنها كتبه السابقة على القرآن الكريم ، إلاّ أنّه كاد يقتصـــر في تعليقاته تلك على سورة البقرة وآل عمران، وقد استفدت كثيرا من تعليقاته البلاغية على الآيات و انتباهاته الذّكية رغم ما يعتورها من شوائب الاعتزال .

وتتواصل الجهود مع جمع من العلماء الأجلاّء والباحثين المقتدرين الذين تركوا بصماتهم الكبرى في هذا النوع من الدراسة ، فمن بين أهمّ تلك الدّراسات ما بسطه الطّاهر بن عاشور في تفســـيره المعـــروف بـ"التحرير والتنوير" ، فقد تكلّم فيه عن المعاني والوجوه البيانية للنّص القرآني،إلاّ أنّه لم يلتزم بنهج معـــيّن ومع ذلك فهو يعدّ بحق من أنفس التفاسير في هذا المجال إن لم تتجاوز قيمته العلمية الكثير مـــن الكتـــب النحوية والبلاغية .

غير أنّ عملا مثل هذا يتجاوز جهد الفرد الواحد مهما بلغ القمة السامقة من التحصـــيل العلمـــي ونفاد البصيرة وحصافة العقل ورجاحة الفكر ، لذا فلم يكن ثمّة بدّ من أن يتنافس الباحثون في إثراء هـــذا الدّرس كل حسب اختصاصه ومشربه المعرفي ، ومن هنا نجد ذلك الكمّ الزاخر ممّن ألّـــف فـــي التفســـير والإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم ، فحاولت أن أفيد من كل هؤلاء وممّن كتب فيما له علاقة بموضـــوع البحث .

ولا شكّ أنّه ما من عمل جاد إلاّ ودونه خرط القتاد ،فقد كان نقصان المراجع المتخصّصـــة في جزئيات الموضوع من أهم الصعوبات التي لاقيتها في سبيل إنجاز هذه المذكرة، وتعذّر الحصول عليها إن وجدت في كثير من الأحيان بسبب أو بآخر كتلك المتعلقة بالإجراءات الإداريـــة في المكتبـــات، وبعد المسافة عن مكان تواجدها وارتباط المرء بأعمال أخرى، كما أنه في بعض مباحث المذكرة يجد المرء صعوبة في تقسيم المادة العلمية لكونها ترتبط ببعضها البعض، فيعمد المرء أثناء تصنيفها إلى دفـــن أثرها الجمالي كون البنى النحوية تشكل في غالب الحالات نسيجا محكما لاتكاد تنفصل عراه.

واعتمدت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، فعمدت إلى وصـــف الـــنص أوّلا بعـــد استخراجها ثمّ تصنيفها حسب ترتيب العناصر النحوية،ثمّ تحليلها بغية معرفة دلالاتها البلاغية، فكنت أذكر المعنى الجلي في البداية، ثمّ أعرّج إلى ما فيها من المعاني الدّقيقة والبلاغية مســـتعينا بمـــا ذكـــره اللغويون والمفسّرون، مع اللّجوء إلى الإحصاء في كثير من المباحث لتكون النتيجـــة أكثـــر دقّـــة، واستخلاص الأسلوب الملائم لكل غرض من أغراض الخطاب في السورة.

وقد جاء البحث مقسما إلى تمهيد و أربعة فصول .

أما التمهيد فكان من الضروري أن أقف فيه على ما يؤسس للموضوع فأخذت فيه مبحثين هما:

- المبحث الأول : و تكلمت فيه عن أهمية القرآن في الدرس النحوي والبلاغي .
- المبحث الثاني : وحاولت فيه تعريف البنية النحوية والمفرداتية كونها تشكل عنوان هـــذا البحـــث وموضوع الرسالة.

وفي الفصل الأول لفت انتباهي بروز ظواهر لغوية معينة في السورة فكان:

- المبحث الأول منه لظاهرة الحذف مع ذكر أنواعها و دلالتها البلاغية .
- المبحث الثاني وخصصته لظاهرة الالتفات بأنواعه.
- المبحث الثالث : وتناولت فيه التقديم و التأخير بأنواعه ودلالته البلاغية .

ثم إن الفصل الثاني ضمّنته بنية الجملة الخبرية في السورة ، وتوزعت مباحثه كما يلي :

- المبحث الأول: و اختصّ ببنية الجملة الاسمية المثبتة،وتمّ تقسيمها إلى جملة اسمية مجرّدة من النواســـخ وجملة منسوخة بـــ(إنّ) وأخواتها، وأخرى منسوخة بـــ (كان) وأخواتها.
- المبحث الثاني : وجاء على عكس سابقه إذ عرّفت فيه ببنية الجملة الاسمية الخبرية منفية، وتمّ تقسيم أنواعها حسب أداة النفي المستعملة إذ تعدّ عاملا حاسما في تنويع الدلالة.
- المبحث الثالث : وقد عرّفت فيه بنية الجملة الفعلية المثبتة ذات الفعل اللاّزم منها والمتعدّي.
- المبحث الرابع : وأخذت فيه بنية الجملة الفعلية المثبتة من خلال بيان أنواعها ودلالتها .

وبما أنّ الجملة الخبرية قد مثّلت القسط الأوفر من الجمل فلم يكن بدّ في هذا الفصل من الاقتصار على بعضها إذ يستحيل دراستها جميعا في فصل كهذا .

وخصّصت الفصل الثالث لبنية الجملة الطلبية في السورة ، فتوزعت مباحثها كالأتي :

- المبحث الأول : تمّ من خلاله التعريف بجملة الاستفهام وتقسيم أنواعها بحسب أدوات الاســـتفهام المستعملة مع التطرق لدلالاتها المختلفة .

- المبحث الثاني : وعرضت فيه جملة الأمر بأنماطها المختلفة كالأمر بالصيغة، والأمر بالفعل المضارع المقرون بلام الأمر، والأمر باسم فعل الأمر، والأمر بالمصدر وغيرها.
- المبحث الثالث : وخصّصته إلى بنية جملة النهي مع بيان لأنماطها ودلالاتها البلاغية .
- المبحث الرابع : وعرضت فيه بنية جملة النداء، وقسّمتها إلى أنواع وفق أداة النّداء .

وجاء الفصل الرابع ليأخذ الجزء الثاني من المبنى وهو بنى المفردات و قسم إلى أربعة مباحث هي

- المبحث الاول : حاولت فيه بيان العلاقة بين المفردة وعلم الدلالة باعتبار هذا الأخير يجعـــل مـــن المفردة عنصرا رئيسا في الدلالة .
- المبحث الثاني : وأبرزت فيه أنماط المفردات الواردة في السورة بشكل مقتضب ودون تمثيل ، وهي في جملتها نفس الأنماط الموزّعة حسبها الكلمة .
- المبحث الثالث : وأخذت فيه البنية الصرفية للمفردة ودلالتها البلاغية مع تقسيمها إلى قسمين : قسم خاص بمباني الأفعال و قسم آخر خاص بمباني الأسماء .
- المبحث الرابع : وتضمن هذا المبحث التشكيل الصوتي ودلالته في بعض مفردات السورة ، وذالك من خلال ظاهرة التنغيم وحكاية الصوت و الفاصلة .

و أنهيت البحث في الأخير بخاتمة تضمّنت خلاصة نتائج البحث مع ملاحق و فهارس .

وفي الأخير آمل أن أكون قد وُفّقت في هذا الجهد المتواضع والذي عساه أن يكون لبنـــة لأعمـــال قـــادمة قد تكون أكثر أهمية و فائدة ، ورغم قلّة الوقت وكثرة الشواغل إلا أنّني آليت على نفســـي إلا أن أكمله ،و أحـــاول أن أخرجه في أحسن حلّة ، وإن لم أنسب نفسي إلى الإتيان بنادر وجديد ، فقد ذهب السابقون بجلّ المزايا في مثل هذه الجهود .

كما أودّ أن أوجه شكري إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور رابح دوب الذي فتح لي بابه واحتمل مني إزعاجه،وبسط لي من وقته رغم كثرة أشغاله، فأفادني بتوجيهه الأغر و نصائحه الدرر، وكان بحق أبا وأخا، صديقا وشيخا، فجزاه الله عنّي خير الجزاء ، وإلى السادة الأساتذة الأفاضل الذين تجشّموا قراءة هذا البحث بغية إقامة ما فيه من اعوجاج وإكمال ما فيه من نقص، حتّى يخرج نقيا خالصا، فيعم به النفـــع، وأرجو أن يكون هذا البحث جهدا مقبولا في خدمة القرآن والله من وراء القصد.

أحمد عيدلي

مدخـــل

1- أهمية القرآن في الدرس النحوي و البلاغي

2-مفهـــــــوم البنية النـــحوية والمفـــرداتية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 ـ أهمية القرآن في الدرس النحوي و البلاغي :

لقد نزل القرآن باللغة العربية على نمط يُعجز قليله وكثيره معا ،فكان أشبه شيء بالنور في جملـــة نسقه ،إذ النور جملة واحدة وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته ،وهو في كل جزء مـــن أجزائـــه و في أجزائه جملة لايُعارض شيء.

ولذلك " فإن أولى ما عني باعي العلم بمراعاته ، وأحق ما صرف العناية إلى معاناته ماكـــان مـــن العلوم أصلا لغيره منها ،وحاكما عليها وفيما ينشأ من الاختلاف عنها، وذلك هو القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،تنزيل من حكيم حميد ،وهو المُعجز الباقي على الأبـــد و المُـــودَع أسرار المعاني التي لاتنفد وحبل الله المتين .وحجته على الخلق أجمعين .

وأول مبدوء به من ذلك تلقف ألفاظه عن حفاظه ثم تلقي معانيه ممن يعانيه ، وأقوم طريق يسلك في الوقوف على معناه ، ويتوصل به إلى تبين أغراضه ومغزاه و معرفة إعرابه واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه ، والنظر في وجوه القراءة المنقولة عن الأئمة الأثبات." [1]

ولا ضير أن نجد هذا التعليق لمن كان أشهر من أعرب القرآن ، فالقرآن و" إن كان لا يخلو الناظر فيه مما يريه ونفع ما يوليه فإنه :

كالبـــــدر من حيث التفت رأيتـــه يهدي إلى عينيك نورا ثاقبا

كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

لكن محاسن أنوارد لا يثقفها إلاّ البصائر الجلية ، وأطايب ثمره لا يقطفها إلا الأيدي الزّكية، ومنافع شفائه لا ينالها إلا النفوس النقية ."[2]

فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته ، ووواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكمـاء في أحكامهم وحكمهم .وإليها مفزع حذاق الشعراء في نظمهم ونثرهم .

ومن ثم فقد كانوا يستضيئون بخطاباتهم بآي الذكر الحكيم ، فبلغ خطباء الوعظ الكفاية في البيان و أدى انتشار رقعة البلاد الإسلامية بفضل القرآن إلى أن كثيرا من الفرس والموالي أتقنوا العربية وحـــذقوها واتخذوها لسانهم في التعبير عن عقولهم ومشاعرهم، و أظهروا في ذلك بلاغة منقطعة النظير .[3]

---

[1] – التبيان في إعراب القرآن ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، تحقيق :محمد علي البجاوي ، دار الجيل، بيروت،الطبعة الثالثة 1987، ص:1.

[2] – المفردات في غريب القرآن : تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502 هـــ)، تحقيق وضبط : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، (د ت) ، ص:5 .

[3] – ينظر البلاغة : تطور وتاريخ ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثامنة ،(د ت) ، ص:19.

و"ما وجد في القرن الأول من تأملات نحوية أو محاولات لدراسة بعض المشاكل اللغوية كان الحافز إليه إسلاميا و لم يقصد لذاته، وإنما لاعتباره خادما للنص القرآني ،ومن ذلك محاولة ابن عباس جمع الكلمات الغريبة في القرآن وشرحها إن صحّت نسبة "غريب القرآن" إليه،وكذلك محاولة أبو الأسود الدؤلي ضبط المصحف بالشكل حين استحضر كاتبا وأمره أن يتناول المصحف ، وأن يأخذ صبغا يخالف لون المداد ليضع نقطة فوق الحرف إذا رآه يفتح شفتيه ، وتحت الحرف إذا رآه يخفض شفتيه ،وبين يدي الحـــرف إذا رآه يضم شفتيه ،أما إذا أتبع الحرف الأخير غنّة ، فينقط نقطتين فوق بعضهما ، أما الحـــرف الســـاكن فقـــد تركه"[1].

وشاع اللحن في العصر الأموي حتى تطرق إلى البلغاء من الخلفاء والأمراء كعبد الملك والحجّـــاج و الناس يومئذ تتعاير به ، وكان مما يسقط الرجل في المجتمع أن يلحن ، وخاصّة في قراءة القرآن ، لاسيما و أن ما فعله أبو الأسود الدؤلي (ت69 هـ) كان السبب فيه أنـــه سمـــع قارئـــا يقـــرأ ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[2] بكسر اللام في (رسوله)، ففزع إلى ما صنع ، لا سيما وأنهم كانوا ينكرون اللحن حتى في عامة كلامهم لدرجة أن أحدا مثل عمر بن عبد العزيز كان يقول :" إن الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجبها فيلحن فأرده عنها وكأني أقضم حب الرّمان الحامض لبغضي استماع اللحن ، ويكلمني آخر في حاجة لا يستوجبها فيعرب فأجيبه إليها التذاذا لما أسمع من كلامه " وكان يقول:" أكاد أضرس إذا سمعت اللّحن ".[3]

وبعد أبي الأسود نشط التأليف النحوي ، ففي الفترة الممتدة بينه وبين الخليل نجد كما معتبرا مـــن علماء النحو : كيحي بن يعمر و عنبسة الفيل وميمون الأقرن وعيسى بن عمر وأبي عمرو ابن العـــلاء و عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ،واكتملت معالم هذا العلم مع ظهور كتاب سيبويه (ت 180هـــ) و الذي أضحى يسمى فيما بعد بقرآن النحو ، و"بقي القرآن في كل ذلك النص الوحيد الموثوق بصـــحته

1 – البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر ، الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة السادسة 1988 ص:79-80 .

2 – التوبة 03.

3 – ينظر كتاب الأضداد . محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ،1987 م ص:244-245 .

والمقطوع بسلامته البعيد عن التحريف والتبديل"[1] ، المعتمد في الاحتجاج على القواعد النحوية إذ هـــو " أعرب وأقوى في الحجة من الشعر "[2].

ولذا فقد اتفق البصريون والكوفيون على جعله أصلا كبيرا من أصول الاستشهاد في وضع القواعد النحوية والأخذ بها، لأنه نزل بلغة قريش التي انتصرت لهجتها على جميع لهجات العرب لعوامـــل متعـــددة منها الجغرافية والدينية والاقتصادية والسياسية [3].

كما عكف العلماء على القراءات القرآنية وخاضوا في التأليف فيها .والاعتناء بها في مجال العربيـــة "فإلى جانب القيمة الدينية للقراءات نجد لها قيمة لغوية خاصة ، لأنها تحوي ثروة لغوية ضخمة لا يســـتغني عنها دارس العربية ، ولأنها تسجل كثيرا من الظواهر اللهجية مما أهملته كتب اللغة والنحو، هـــذه الأهميـــة جعلت بعض النحاة يوجه عنايته نحوها ،يكشف أوجه القراءة للآية ويستجلي خصائصها " [4].

إضافة إلى أنّ الخطاب القرآني يعد سلطة فنية من حيث تساميه الأدبي المباين للمألوف من الأجناس الأدبية العربية ،وهو سلطة روحية أيضا بتصديه تقريرا وجدلا لتخرجاتهم الاعتقادية والمعرفيـــة الشـــركية واحتوائه المجال الفكري والروحي الذي تصدر عنه ذهنية الكفر ،وهذا باعتماده معطى الإيمـــان بالتوحيـــد وبالغيب واقعا فكريا ماثلا للحس ممازجا للوجدان ،مؤسسا ليقينية الاستمرار والبقاء التي تحققها مُســـلّمة البعث الأخروي كما رسخها القرآن .

غير أنّ الأهم في كل هذا في هذا البحث هو ذلك الفضاء الجمالي الذي مثّلـــه الخطـــاب القـــرآني والنرابة القولية المتقنة، والذي أمكنه أن يتجاوز موقف الرفض والخصومة الذي وقفه منه المكذبون زمـــن النزول، ومن نجم من بعدهم من الطاعنين ،وهذا شأن الذي "خلب أسماع العرب ، وهز أفئدتهم وفاق بيانهم وبلاغتهم ،وأطلعهم على لون من البيان لم يألفوه،فغير من نظرتهم لفن القول ، وعمق أذواقهم في صـــناعة الكلام"[5] .

---

1 - تركب الاسمي الإسنادي وأنماطه من خلال القرآن الكريم ، الدكتور أبو السعود حسنين الشاذلي . دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية الطبعة الأولى ،1990، ص:5 .

2 - معاني القرآن للفراء، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار ،مطبعة دار الكتاب المصرية ، القاهرة ،1955 ، ج1:- ص:14.

3 - ينظر المدرسة النحوية في مصر والشام ، عبد العال سالم مكرم، دار الشرق ، الطبعة الأولى، 1980 ، ص: 223-229.

4 - ينظر في أصول النحو لسعيد الأفغاني ، دار الفكر ،سوريا ، الطبعة الثالثة 1964 ، ص: 29-30 .

5 - البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، الدكتور :رابح دوب ،دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى1997 ، ص: 47 .

ومع نزوله في أرقى العصور فصاحة وأكملها بلاغة .فقد "وجم العرب وخرست شقاشقهم مـــع طول التحدي وشد النكير عليهم "[1] أن يأتوا بأقصر سورة من مثله فحقت له الكلمة العليا.

من هنا رأينا اللغويين في العصر العباسي يدوّنون بعض الملاحظات البلاغية في تعليقاتهم علـــى آي الذكر الحكيم ،ولعل أهمهم ابن قتيبة (ت276هـــ) ،والمبرد (ت285هـــ)، وثعلب (ت291هـــ)، أمـــا ابن قتيبة فإنه نثر جملة ملاحظاته في كتابه "تأويل مشكل القرآن "،وقد صنفه للرد على الملاحدة وأشباههم الذين يطعنون في القرآن الكريم ،فيقولون إن به تناقضا وفسادا في النظم واضطرابا في الإعراب [2].

وتطوّر الأمر من تسجيل الملاحظات إلى وضع الدراسات ،فظهر كتاب" النكت في إعجاز القرآن" للرماني ، والذي عرّف البلاغة بأنها إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة ،ثمّ ميّز أدبية القـــرآن قـــائلا "وأعلى طبقة في الحسن بلاغة القرآن "[3] ،ثم تلاه الباقلاني في كتابه " إعجاز القرآن" فربط أدبية الإعجـــاز بمبدأ النظم و أقرّ بأنّ الإعجاز إنما حصل للقرآن " من جهة نظمه الممتنع "[4]، إلا أنه لم يستطع أن يميـــط اللّثام عن كنه هذا النظم على سعة مباحث الكتاب ،تاركا بذلك المجال مفتوحا أمام الاجتـــهادات الـــتي تواترت من بعده .

ولعلّ أهم المحاولات الجديرة بالتقويم هي محاولة الجرجاني الذي تصدى لدراسة أدبية الإعجاز وعلوم البلاغة متخطيا الأحكام الانطباعية، مرجّحا فكرة النظم كأساس للإعجاز القرآني ، حيث أن لامفاضـــلة للألفاظ فيما بينها حينما تكون مفردة مجردة ،بل قيمتها تكمن في ملاءمتها لمعنى المفردة التي تليها أو مـــا أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ ، وبهذا الفهم للنظم جعل الجرجاني العملية الإبداعيـــة (البلاغيـــة) مظهرا تنصهر فيه إشكالية اللفظ والمعنى ، فتضحى جهدا واحدا ،فعلى قدر ترتيب المعاني في النفس تتركـــب لك الألفاظ بحكم أنها خدم لها ، ولهذا يقول مصطفى صادق الرافعي : "وقلما تصيب لأحد من بلغاء الناس كلاما قد أحكمت ألفاظه من هذه الوجوه كلها ، فإنك لتستطيع أن تجد في كل كلام بليغ معـــاني قـــد

جمعية التراث للعلوم الإسلامية

1 - علوم البلاغة البيان و المعاني و البديع ،أحمد مصطفى المراغي ،دار الآفاق للعربية ، القاهرة .الطبعة الأولى 2000 ،ص: 39 .

2 - ينظر البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف ص:58 .

3 - النكت في إعجازالقرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، الرماني ، تحقيق محمد أحمد خلف الله ، زغلول سلام ، دار المعارف مصر 1960 ، ص: 76 .

4 - إعجاز القرآن ،أبو بكر الباقلاني، تحقيق أحمد صقر ، ،دار المعارف ،مصر، الطبعة الرابعة، (د ت) ، ص: 29 .

جليت لألفاظها ، ولكنك لا تستطيع أن تجد في القرآن كله إلا ألفاظا لمعانيها ، وإن فتشت وجهدت وإن طلبت في ذلك القرطة والبدرة "[1] .

ومع تنوع هذه الدراسات حول القرآن فـــ " لاتزال تظهر ما فيه من مكنونات وتكشف ما احتوه من أسرار لا تخاف ولا تنتهي ، والقرآن معطاء لا يبخل ولا يمنع إذا ما سعيت إليه واستوضحت ما فيه "[2].

وليس قصدنا هنا في هذه التوطئة بحث قضية الإعجاز وإنما لتبيين أن هذه المســـألة كانـــت ســـببا للتآليف البلاغية المتعلقة بالقرآن وغيره ، ولذا كان هذا البحث محاولة لفهم بعض بنى النص القرآني وبخاصة في سورة الأنعام ، منطلقين في ذلك من تعريف البنية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،الطبعة الأولى 2000 ،ص: 184 .

2 - القرآن الكريم تاريخيته ولغته ، دكتور السيد عبد الغفار ،دار المعرفة الجامعية ،1996 ، ص: 4 .

2- مفهوم البنية النحوية والمفرداتية .

جاء في اللسان :

"قال ابن الأعرابي :البِنى :الأبنية من المدر أو الصوف ،وأنشد بيت الحطيئة :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البِنى.

وقال غيره :يقال بِنْيَةٌ ،وهي مثل رِشْوَة ورِشًا ،كأن البِنْيَةَ الهيئة التي بني عليها مثل المِشْيَة والرِّكْبَة..."[1]

ولاشك أن قصدنا من البنية في هذا العنوان لا يخرج عن التعريف اللغوي خصوصا مـــع شـــهرته الواسعة في الدراسات اللغوية الحديثة،فنعني بالبِنْيَة الهيئة التي تتشكل منها الكلمة المفردة أو الجملة .

أما في المفردة فقد اختص علم الصرف ببحث هذه المسألة فهو الذي يتناول بنية الكلمة وأشكالها لا لذاتها وإنما لغرض دلالي، أو لهدف خدمة الجمل والعبارات ، ومن أهم قضاياه المشتقات وأزمنة الأفعـــال والتعريف والتذكير ، و" يضاف إلى هذا الأوزان ودلالاتها والجموع وأنواعها"[2] .

وبنية المفردة هي مجموعة الوحدات الصوتية المؤلفة لها "بطريقة معينة لكي ترمز للأشـــياء الحســـية والأفكار المجردة" [3]، إذ تكتسب المفردة المشتقة معناها المعجمي من ركيزتين : إحداهما : معـــنى الأصـــول الثلاثة من حيث أنها تلخص علاقات اشتقاقية بين طائفة من الكلمات فهذا التلخيص هو معناها ،والركيزة الثانية :ما ينسب إلى الصيغة الصرفية من معنى عام كالطلب والمطاوعة والاتخاذ والتـــدريج ، في حـــين أن المفردة الجامدة التي ليست صيغة صرفية يكون معناها هو صورتها الذهنية .

وتعتبر المفردة اللبنة المستخدمة في البناء اللغوي ،ذلك البناء الفكري الذي يعد مظهرا من مظـــاهر وعي الإنسان وسُمُوِّه على المخلوقات الأخرى ، فقد كرمه الله بها لأنها وسيلة تعايش وتأنس ، وهي أداته التعبيرية في توصيل المعنى في القول العادي ، وهي الوسيلة الجمالية في صياغة النتاج الأدبي كمـــا كانـــت الألوان وسيلة الرسم ، والحجر وسيلة للنحت ، وهي في مجال الأدب شحنة روحية وليست مجرد أصوات لأنها تكتسب دلائل جديدة حسب السياق وتوظف الحروف للتأثير الوجداني .

وإذا كانت البنية إطار ذهني مجرد أو مفهوم صرفي لا ينطق ، فإن الكلمة مفهوم معجمي منطوق بالقوة ، " فلم يكن عبثا أن تشتق الكَلِمة في العربية من الكلم ، وهو الجرح ، إذ كانت أداة صاحبها إلى تمزيق الحجاب الكوني الكثيف الذي ران على سمعه وبصره في ليل الصيرورة ، فحجبت الشمس وهي طالعة

---

[1] – لسان العرب لابن منظور ،مادة ب ن ى ،دار صادر ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 2000 ، ج: 2-ص:160 ، عمود 2 .

[2] – فقه اللغة في الكتب العربية : عبده الراجحي ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1979، ص: 147 .

[3] – بلاغة الكلمة والجملة والجمل ،دكتور منير سلطان ،دار المعارف بالإسكندرية ، الطبعة الثالثة 1996، ص: 15 .

وهوت الكواكب وهي متألقة ، ومات الوليد وهو في حجر أمه ،وسقط الفارس وهـــو يطعـــن خصـــمه وجاءت الكلمة تحمل آثار التمزق ، وتتضح بدم المأساة لأنها كالوجود الذي يرتجف بالعدم ، والحياة الـــتي يتعشاها الموت ، والأضداد التي قيل فيها ما قيل مما لا يشفي الغليل شاهد على التـــوتر الجـــاثم في رحـــم الكلمات منذ العهود السحيقة "[1].

أما النمط الثاني من البنى الذي نريد دراسته فهو البنية النحوية ، ونعني بها ما عناه علماؤنا المتقدمون بالنظم ، وأول من أشار إلى ذلك من النحاة هو سبويه (ت 180 هـــ) ، فقد تحدث عن معنـــاه وإن لم يسمه باسمه حين قال عن أقسام الكلام : "فمنه مستقيم حسن ،ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبـــيح وما هو محال كذب ، فأما المستقيم الحسن ، فقولك : أتيتك أمس وسآتيك غدا ، أما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول :آتيك غدا وسآتيك أمس ، وأما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل ، وشربت ماء البحر ونحوه ، وأما المستقيم القبيح أن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك : قد زيدا رأيت ، ولكـــي زيد يأتيك ، وأشباه هذا . وأما المحال الكذب فأن تقول :سوف أشرب ماء البحر أمس "[2].

فعبر عن المثال الأخير (سوف أشرب ماء البحر أمس) بأنه محال كذب ، وذلك أنـــه لا أحـــد يستطيع فعل ذلك في المستقبل فهو كذب ، وهو محال لأنه لا يلتزم مع قواعد النحو ،فسوف تدل علـــى الاستقبال بينما تدل أمس على الماضي ، فلم يحدث تأليف بين عناصر هذه الجملة فانعدم النظم .

أما عند البلاغيين فإن الجاحظ (ت 215 هـــ) أول من أدرك ذلك بسعة ثقافته ، وإذا به " يصيح في معاصريه : إن إعجاز القرآن في نظمه ويؤلف كتابا* في هذا المعنى ،ولكنه يسقط من يد الزمن "[3]، فها هو يقول في كتابه الحيوان :" فللعرب أمثال واشتقاقات وأبنية ،وموضع كلام يدل عندهم على معـــانيهم وإرادتهم ، ولتلك الألفاظ مواضع أخرى ،وهنا حينئذ دلالات أخرى ، فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب

---

1 - عبقرية العربية في رؤية الإنسان والحيوان والسماء والكواكب ، الدكتور لطفي عبد البديع ،مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان، الطبعة الأولى 1997 ، ص:11-12 .

2 - الكتاب ، أبو بشر سيبويه ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ،دار الجيل ، بيروت الطبعة الأولى ،(د ت) ، ج:1-ص: 25-26.

* الكتاب هو : نظم القرآن ، ذكره في كتابه الحيوان.

3 - النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق ، عبد الرزاق حسن إسماعيل ، دار الطباعة ،المحمدية ،مصر ، الطبعة الأولى 198 ،ص: 61 .

والسنة ، والمثل ، فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم ، وليس هو من أهـــل هـــذا الشـــأن هلـــك وأهلك"[1].

ثمّ إنّ الجاحظ يصرح بمثل هذا اللفظ في مجموعة رسائله حين قال :"فمن عرف صنوف التـــأليف عرف مباينة نظم القرآن لسائر الكلام"[2]. فالجيد عنده "مارأيته متلاحم الأجزاء ،سهل المخـــارج ، فـــتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا ، وسبك سبكا واحدا ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان "[3]، وكل هذه الأقوال تصب في قالب واحد أساسه أن الجودة تعني حسن النظم و البناء .

وتمسك العلماء به بعد الجاحظ، فجعلوه مناط الإعجاز البياني مثلما عرجنا على ذلك في المبحـــث السابق إلى أن نصل إلى نموذج واضح يتبين فيه معنى النظم مع الإمام عبد القاهر الجرجاني ، وهـــو عـــين مانعني به البنية النحوية ، فهو يعرف النظم قائلا : "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه ،فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم الـــتي رسمت لك ، لا تخل بشيء منها... ذلك أنا لانعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كـــل باب وفروقه ، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك :زيد منطلق ، وزيد ينطلق ،وينطلـــق زيـــد ومنطلق زيد ، وزيد المنطلق والمنطلق زيد ، وزيد هو المنطلق ، وزيد هو منطلق "[4].

وبهذا فقد استفاد من نحويته في كشف جماليات التركيب عندما تملى وجوه النظم بـــذوق ســـليم مثل :التذكير ، والتعريف ، والاسمية ، والفعلية ،والاستفهام، والتقديم والتأخير ، والوصل والفصل .

وليس بعيدا أن ينطلق الدرس اللساني الحديث من هذه النظرة الصائبة في دراسة اللغة ، فـــانظر إلى دي سوسير حين عرف اللغة على أنها "منظومة من العلامات "[5] ، ولا يعني به سوى نظام توالي الألفـــاظ في السلسلة الكلامية ، وهو نفسه النظم والبنية غير أنه عمم ذلك على اللغة وأسس بذلك لمنهج جديد في الدراسات اللغوية أطلق عليه اسم البنيوية، فادّعى من جاء بعده وسار على نهجـــه أن هـــذا حـــلا غـــير مسبوق.وسرعان ما أتى بعده التوليديون والتحويليون وأنشأوا لأنفسهم مذهبا ورأوا أن "للجملة بنية عميقة

---

1 - الحيوان ، أبو عثمان الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة 1969 ، ج :1-ص: 154.

2 - رسائل الجاحظ ، (العثمانية) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، نشر السندوبي ، 1352 هـ ، ج: 14-ص: 03.

3 - البيان والتبيين ، أبو عثمان الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، نشر الخانجي ،القاهرة 1948 ، ج: 1-ص: 68.

4 - دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية 1978م، ص: 64 .

5 - محاضرات في الألسنية العامة ،فرديناند دو سوسير ، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر ، منشورات المؤسسة الجزائرية للطباعة 1986 ص: 26 .

(structure profonde) والتي تمثل التفسير الدلالي لها .وبنية سطحية (structure surface)تمثل التفسير الفونولوجي للجملة "[1] ، لكن هذه البنية العميقة لا تصلح أن توضع في كلمات لأنها فكرية منطقية خالصة ، أما البنية السطحية فـ"هي التنظيم السطحي للوحدات التي تقدم الترجمة الصوتية العائدة إلى الشكل الخارجي للجملة في شكلها المراد أو المشاهد "[2]، أو هي واحدة من إمكانات التعبير عن البنية العميقة بعناصر لغوية ،وفي النحو العربي كثير من هذا وكثير من ذلك مما يعتز به ويفخر وما بقي منه أكثر مما يحوي أسرار بديعة تتوافق وطبيعة هذه اللغة ، لذا آثرنا في هذه الرسالة مناقشة المباحث النحوية والبلاغية وما يتلاءم مع اللغة العربية والقرآن الكريم باعتبار هذه الدراسات اللغوية الحديثة ذات منطلق معرفي غربي وتطبيق ما جاءت به مما يفضي بالمرء إلى مسلك موعر يوقعه في فخ لا يمكنه الخلاص منه فارتأينا السلامه لأنفسنا بسلوك النهج الواضح على درب أسلافنا ، محاولين استخلاص بعض أسرار النص القرآني من خلال تراكيبه وبناه البسيطة منها بالأخص .

"فالتراكيب القرآنية تثير ألوانا متعددة من الدلالات البعيدة تهدف إلى خلق النموذج المتكامل والمجتمع الفاضل ، وإذا كانت المعاني القريبة في كتاب الله بليغة ، فالمعاني البعيدة أبلغ لكونها أكثر مطابقة لمقتضيات الأحوال،لأن القرآن يعتبر في صورة أدبية تثير المشاعر والانفعالات ، وتتخذ قرارها إلى النفس وأية فكرة من هذا النسق المحكم، والنظم العجيب تراها بحكم التركيب (البنية) الذي يشتمل عليها قد انتفضت كمعان جديدة "[3].

من هنا كان لزاما علي أن أتذوق هذا المنهل العذب محاولا تجاوز الصعب ، والظفر بشيء من لذة هذا الكتاب المعجز بطرق أحد أبوابه ومن سورة الأنعام والتي سنقدم أهم مضامينها فيما يلي:

1- Aspects de la théorie syntaxique chomisky.trad :Jean claude.Milner.ed de seuil .Paris 1978.P:66.

2- La linguistique Cartesienne suivie de la nature formalle du langage chomsky.trad :N Delance et D. Sperber . ed de seiul.Paris 1969. P:62.

3- المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ، دكتور فتحي أحمد عامر ، منشأة المعارف ،الإسكندرية ، القاهرة (د ط)، (د ت) ،ص:326.

الفصل الأوّل

الظواهر النحوية البلاغية البارزة في السورة

1 – الحذف – أنواعه ودلالاته البـــــلاغية.

2 – الالتـــــــفات – أنواعـــــــــــــه.

3 – التقديم والتأخير – أنواعه ودلالاته البلاغية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 – الحـــــذف :

1-1- مفهوم الحذف :

يعدّ الحذف أحد أساليب الإيجاز البلاغية وإن اعتبر أيضا ظاهرة نحوية ، وقد عرّفه الرّماني على أنه" إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام"[1].

وقد دل كلام الرّماني على أن الحذف لا يأتي جزافا لأنه " من سنن العرب ألا تحذف شيئا إلا إذا أبقيت في النص ما يدل عليه" [2].

وإنما يُصار إلى الحذف حينما يكون ذلك أبلغ من الذكر ، لأن النفس تذهب حينها كل مـــذهب ولو ذكر المحذوف لقصر المعنى على الذي تضمنه البيان .

وينبهنا ابن هشام إلى أن دليل الحذف نوعان : أحدهما غير صناعي وينقســـم إلى حـــالي ومقـــالي والثاني : صناعي وهذا يختص بمعرفته النحويون وهو" ما اقتضته الصناعة وذلك بأن تجد خبرا بدون مبتدأ أو العكس ، أو شرطا بدون جزاء أو بالعكس ، أو معطوفا بدون معطوف عليه أو معمولا بدون عامل نحو : (ليقولن :الله) ونحو (قالوا خيرا) ونحو (خير عافاك الله)" [3].

ثم يحدد شروطا للدليل اللفظي ،منها أن يكون طبق المحذوف، وأن لايكون ما يحذف كالجزء ، وأن لايكون مؤكدا ، و أن لا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر ، وأن لايكون عاملا ضعيفا كمـــا لا يكـــون عرضا في شيء وأن لا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه ، ولا إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القوي ثم قطعه عنه .

أما النوع الثاني من الحذف فهو الذي يلزم المفسر و البياني ويصور لنا الإمام الذواقة عبـــد القـــاهر الجرجاني الحذف على أنه "باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر ،فإنك ترى بـــه ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[4].

---

[1] – النكت في إعجاز القرآن .ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز. أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت 384 هـــ) . تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية، 1968 ، ص : 76 .

[2] – التوجيه النحوي للقراءات في سورة البقرة . الطاهر قطي .ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون . الجزائر . 1991 ص : 196 .

[3] – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب .ابن هشام الأنصاري تحقيق : حنا الفاخوري . دار الجيل الطبعة الأولى بيروت . لبنان 1991 الجزء 2 ص : 394 – 395 .

[4] – دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني ، تعليق محمود شاكر .مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الثانية 1989 ص : 146 .

وفرق بعضهم بين الحذف والإيجاز فذكر "أن يكون في الحذف ثَمّ مقدرٌ نحـو ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [1] بخلاف الإيجاز فانه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمة بنفسه " [2].

وتعددت صور الحذف في سورة الأنعام فجاءت على الأنواع التالية :

1-2- أنواع الحذف ودلالتها البلاغية :

1-2-1- حذف المبتدأ :

" يحذف كل من المبتدأ والخبر إن دل عليه دليل: جوازا أو ووجوبا" [3] ، وقد ورد حذف المبتدأ في السورة في بعض الآيات منها قوله تعالى

1 - ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام : 12].

فـ "قوله ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو الله لاخلاف بيننا في ذلك . يعضده ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[4] في غير موضع من التنزيل" [5] ، وقد يقدر في هذه الآية المبتدأ مؤخرا عن الخبر على وزان السؤال لأن المقصود إفادة الحصر، كما جاء الخبر مباشرة لكونه اسم الجلالة والدال على الألوهية ليُلجئ المشركين إلى الإقرار بعبوديته وذلك من باب التبكيت .

2-ومنها قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام : 27].

فقوله ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ قد يكون خبرا لمبتدأ محذوف أي (نحن لا نكذب) في أحد وجوه الإعراب ويكون في المعنى حينئذ وجهان :" أحدهما أن عدم التكذيب متمنى أيضا فيكون في موضع نصب على الحال

---

[1] - يوسف: 82 .

[2] البرهان في علوم القرآن . بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم . المكتبة العصرية بيروت . (د.ت) ج:3-ص: 102.

[3] - شرح ابن عقيل : ابن عقيل . تحقيق محي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية بيروت .لبنان . 1995، ج: 01-ص: 227.

[4] - لقمان :25 .

[5] - البرهان في إعراب القرآن المجيد : لابن أبي العز الهمداني (ت 643 هـ) . تحقيق محمد حسين النمر – فؤاد علي . دار الثقافة . الدوحة قطر . الطبعة الأولى .1991-ج: 2-ص: 125.

من الضمير نرد ، و الثاني : أن يكون المعنى أنهم ضمنوا أن لا يُكذّبوا بعد الرّد ، فلا يكون للجملة موضع"[1] وهذا في قراءة الرفع .

3–ومنه قوله تعالى :﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام : 73].

فقوله ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ فيه حذف المخبر عنه بتقدير : أي هو عالم الغيب . وهذا من أسلوب القرآن وذلك في مقام تقدم صفاته فحذف المسند إليه في مثله تبع لطريقة الإستعمال في تعقيب الأخبار بخبر أعظم منها يجعل فيه المخبر عنه مسندا إليه ويلتزم حذفه .

4 — ومنه قوله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

فقوله ﴿بَدِيعُ﴾ هو خبر مبتدأ محذوف ، أي هو بديع ،و الحذف ملتزم في مثله إذ شرع في الإخبار لأنها تفيد تقوية التنزيه في قوله تعالى في الآية قبلها من السورة ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ وللوجه السابق ذكره، حيث يلتزم حذف المسند إليه الجاري على متابعة الاستعمال عندما يتقدم الحديث عن شيء ثم يعقب عنه بخبر مفرد . وقد نبه الإمام الجرجاني إلى مثل هذه المواضع في حذف المبتدأ حيث قال : « ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ(القطع والاستئناف) يبدءون بذكر الرجل و يقدمون بعض أمره . ثم يدعون الكلام الأول ويستأنفون كلاما آخر ، و إذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ ... وقولهم بعد أن يذكروا الرجل (فتى من صفته كذا) و (أفرٌّ من صفته كيت وكيت)"[2].

[1] – التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله العكبري ، تحقيق علي محمد البجاوي الطبعة الثانية . بيروت دار الجيل 1987 ، ج: 1– ص: 479.

[2] – دلائل الإعجاز – الجرجاني – تعليق محمود شاكر . الطبعة الثانية . مكتبة الخانجي . القاهرة 1989 ص : 147-149 .

1-2-2- **حذف الخبر** :"ويحذف الخبر أيضا لعلم السامع "[1] وقد وردت صور حذف الخبر في السورة في أنماط متعددة منها :

1- قوله تعالى :﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ،فعلى بعض أوجه إعراب هذه الآية وذلك عند الوقف " أن يكون (لا ريب) آخر الكلام .وخبره محذوفا للعلم به . ثم تستأنف" [2]

2- ومنها في قوله تعالى ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام : 19].

ففي أحد توجهي الآية أن لفظ الجلالة في (قل الله) مبتدأ وخبره محذوف تقديره : الله أكبر شهادة ، وقد تم جواب أي ،ثم ابتدئ بشهيد على هو شهيد[3] . وقد جاءت جملة (الله شهيد) جوابا لأنه مرتب على سؤال وهو المقصود ، وذكر لفظ الجلالة لتقرير ذلك وثبوته في أذهان المشركين . فجاء وحده اختصارا كما هو مقتضى أسلوب الإلجاء و الجدل.

3- ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام : 91].

فقوله (قل الله) "جواب للاستفهام التقريري، وقد تولى السائل الجواب لنفسه بنفسه لأن المسؤول لا يسعه إلا أن يجيب بذلك، لأنه لا يقدر على أن يكابر" [4] ، والمعنى (قل الله أنزل) ، فارتفع اسم الله تعالى بالابتداء وحذف الخبر أي (الله أنزله) ، وإذا كان و(عُلّمتم ما لم تعلموا) معطوفا على جملة (أنزل) كان الجواب شاملا له ، أي الله علمكم، وهذا من مزايا حذف الخبر في هذه الآية، حيث فسح المجال لتفسيرها بوضع أحد الخبرين المحتملين للمبتدأ .

---

[1] - الأصول في النحو أبو بكر محمد بن سهل النحوي المعروف بابن السّراج (ت 316هـ) تحقيق عبد الحسن الفتلي . مطبعة النعمان النجف 1973 . ج: 1-ص: 75 .

[2] - التبيان في إعراب القرآن. العكبري، ج: 1-ص: 377 .

[3] - ينظر المفيد في إعراب القرآن المجيد . بن أبي العز الأعرابي . ج: 2-ص: 131 .

[4] - التحرير والتنوير – الطاهر بن عاشور، مجلد: 04-ج: 07-ص: 368.

1-2-3-حذف الموصوف:

إذا كان حذف الخبر قد فتح باب التأويل أمام الآيات فلا شك أن الموصوف لا يقل أهمية عن سالفه ، وقد أتى وفق ما ارتضاه السياق في آيات مختلفة من السورة كقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام : 56].

فالكاف في (كذلك) وصف لمصدر محذوف أي نفصل الآيات تفصيلا، أو مثل ذلك التفصيل الذي لا فوقه تفصيل، والمراد بالتفصيل الإيضاح : ويعلم من الإشارة إليه أن الغرض تفصيل كنهها للرسول صلى الله عليه وسلم ولتبين سبل المجرمين .

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام : 73].

فالكاف في أحد وجوه الإعراب" تكون صفة لمصدر محذوف أي نرد ردا مثل رد الذي استهوته الشياطين " [1] ، وفيه تمثيل حال المشركين بهيئة متخيلة مبنية على اعتقاد المخاطبين في أحوال الممسوسين.

ومنه قوله تعالى :﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75)﴾ [الأنعام : 75].

فالكاف "منصوبة بـ (نرى) التي بعدها على أنها صفة لموصوف محذوف" [2] ،أي نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض إراءة لا إراءة أوضح منها في جنسها، فيكون فيها تقوية لمعنى الرؤية التي تقود إلى اليقين بالله.

ومنه قوله تعالى :﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام : 85] .

فالكاف في موضع نصب على أنه نعت لمصدر محذوف، أي ونجزي المحسنين جزاءا مثل ذلك وذلك أن الله تعالى كما هداهم ووفقهم أحسنوا في أفعالهم وأعمالهم زادهم هدى وأتاهم تقواهم وثبتهم عليه، وجعل ذلك جزاء لهم، ويفعل مثل ذلك بأمثالهم ونظرائهم .

---

[1] - التبيان في إعراب القرآن : ج: 1-ص: 507.

[2] - المصدر نفسه: ج: 1-ص: 511 ، وفي المفيد : " فالكاف يحتمل أن يكون في موضع نصب على أنه نعت لمصدر محذوف ، أي نريه ملكوت السماوات والأرض إراءة مثل إرائتنا إياه ما كان عليه أبوه وقومه من عبادة الأصنام " ج: 2-ص: 172

وفي قوله تعالى :﴿ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[الأنعام : 93].

فـ" غير اسم منصوب بالفتحة على أنه مفعول به لـ (تقولون)، أو صفة لمفعول مطلق محذوف، والتقدير (تقولون قولا غير الحق) "[1].

كما حذف المصدر الموصوف في قوله تعالى :﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾[الأنعام :133].

فالكاف من (كما) " في موضع نصب لكونه صفة لمصدر محذوف و(ما) مصدرية أي استخلافا مثل إنشائكم" [2]، والتشبيه يفيد إنشاء موجودات بعد موجودات أخرى، وفي الكلام تعريض بإهلاك المشركين ونجاة المؤمنين .

وجاء الحذف في هذه الآيات وفق ما يتلاءم والإيجاز لأنه في ذكر الموصوف يستطيل الكلام ويحدث فيه تكرار فتثقل العبارة، ومن ثم فقد ساهم حذف الموصوف في صقل بنية الآية حتى يصل المعنى بأبسط لفظ وبأقل تعقيد.

أما "حذف الصفة فإنه أكثر ما يرد للتفخيم والتعظيم في النكرات، وكأن التنكير حينئذ علم عليه" [3]

وذكر الزركشي أن من حذف الصفة قوله تعالى :﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ. ﴾ [الأنعام : 66] ، أي قومك المكذبون[4].

1-2-4-حذف المفعول به أو أحد المفعولين :

وقد أتى في مثل قوله تعالى: ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ﴾[الأنعام : 16]، فقُرِئَ (مَن يَصْرِفْ) بفتح الياء وكسر الراء على البناء للفاعل وهو الله تعالى ، والمصروف إما العذاب، أي من يصرف الله عنه العذاب في ذلك اليوم فقد رحمه، وإنما ترك المصروف لكونه معلوما أو مذكورا قبله في قوله : ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[5] [الأنعام : 15]، والمقصود من الكلام إثبات مقابل قوله (إني أخاف إن

---

[1] - إعراب القرآن الكريم : الدكتور محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية بمصر، 1996 - ج: 06-ص: 132.

[2] - الفريد في إعراب القرآن المجيد : ج: 2 -ص: 230.

[3] - البرهان في علوم القرآن : الزركشي : ج: 3-ص: 156.

[4] - المصدر نفسه : ج: 3-ص: 156 .

[5] - ينظر الفريد في إعراب القرآن المجيد : ج: 2-ص: 130.

عصيت ربي عذاب يوم عظيم) كأنه قال : أرجو إن أطعته أن يرحمني ربي، لأن من صرف عنه العذاب أثبت له الرحمة، فجاء في إفادة هذا المعنى بذكر الدليل ليعلم المدلول وهذا ضرب من الكناية وأسلوب بديع بحيث يدخل المحكوم له في الحكم بعنوان كونه فردا من أفراد العموم الذين ثبت لهم الحكم [1].

وفي قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام : 22].

حيث حذف المفعول الثاني(لتزعمون) ليعم كل ما كانوا يزعمونه لهم من الإلهية والنصر والشفاعة فحذف المفعول الثاني على طريقة حذف عائد الصلة المنصوب.

ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام : 41].

فمفعول (أرأيتكم) فـ" قال قوم هو محذوف دل الكلام عليه تقديره أرأيتكم عبادتكم الأصنام هل تنفعكم عند مجيء الساعة ودل عليه قوله (أغير الله تدعون) ،وقال آخرون لا يحتاج هذا إلى مفعول لأن الشرط والجواب قد حصل معنى المفعول" [2]، وذكر آخرون أن المفعول الأول في هذا التركيب في الغالب هو ضمير الخطاب العائد إلى فاعل الرؤية القلبية ومستغنى عنه لبيان المراد بتاء الخطاب ، والجملة بعد الضمير المنصوب في موضع مفعوله الثاني[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام : 68] .

(فإن) حرف شرط و(ما) صلة، ولولاها ما أكد الفعل بالنون، وقرئ (ينسينك) بالتخفيف من أنسى ، وبالتشديد عن نسّى، والهمزة وتضعيف العين كلاهما لتعدية الفعل فحينئذ المفعول الثاني محذوف وتقديره: إن أنساك الشيطان هنا إياك عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد أن تذكر ذلك النهي أو إن أنساك الشيطان مع قبح مجالسة المستهزئين فلا تقعد بعد أن ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم [4].

---

[1] - التحرير والتنوير :مج: 4-ج: 7-ص: 162 .

[2] - التبيان في إعراب القرآن : ج: 1 -ص: 496 .

[3] - ينظر التحرير والتنوير : ج: 4 -ج: 7 -ص: 227 .

[4] - ينظر الفريد في إعراب القرآن المجيد : ج: 2 -ص: 167.

كما يحذف المفعول للبيان بعد الإبهام كما في مفعول المشيئة والإرادة فإنهم لا يكادون يذكرونه كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾[الأنعام : 35].

فالتقدير (ولو شاء الله أن يفعل ذلك لفعل)كما في قوله تعالى : ﴿مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ .[الأنعام : 39] .

1-2-5- حذف الفعل :

ورد ذلك في مثل قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾[الأنعام : 22]، حيث انتصب (يوم) على الظرفية وعامله محذوف، ويقدر مما تدل عليه المعطوفات في تكملة الآية وهي: نقول، أو قالوا، أو كذبوا، أو ظل، وكلها صالحة للدلالة على تقدير المحذوف ، وقد أفاد هذا الحذف تهويل ما يحصل لهم يوم الحشر من الفتنة والاضطراب، والأمر سيان في قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ [الأنعام : 128].

حيث أن " (يوم نحشرهم) منصوب بمحذوف، أي واذكر يوم نحشرهم ، أو يوم نحشرهم قلنا (يا معشر الجن)، أو يوم نحشرهم وقلنا (يا معشر الجن) كان ما لا يوصف لفظاعته ،والضمير لمن نحشرهم عن الثقلين وغيرهم " [1] .

ومنه أيضا حذف الفعل في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام : 74].

فقوله (وإذ قال إبراهيم) في موضع نصب على فعل محذوف، أي واذكروا، وهو معطوف على أقيموا [2].

1-2-6-حذف المضاف :

وغلب تسمية هذا النوع من الحذف بالمجاز، قال " ابن عطية في تفسير سورة يوسف : وحذف المضاف هو عين المجاز أو معظمه وهو مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر، وليس كل حذف مجازا "[3].

---

[1] - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الإمام محمود بن عمر الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة 1987 – ج: 2 –ص: 64.

[2] - ينظر التبيان : ج: 1 –ص: 510 .

[3] - البرهان في علوم القرآن : الزركشي : ج: 3 –ص: 103 .

ومنه قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام : 02].

ففي الكلام حذف مضاف أي خلق أصلكم، إذ لا نرى كل فرد من البشر يخلق من طين ، بل عن طريق التوالد، فأشار بذلك إلى آدم عليه السلام وهو أبو البشر وأصلهم، فاختصر في العبارة.

ومنه قوله تعالى : ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الأنعام : 16].

أي من يصرف عنه عذاب يومئذ فحذف المضاف، وجعل منه بعضهم قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾ [الأنعام : 74].

فقرىء آزرُ بالضم على النداء، وأريد به عابد آزر ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، هذا إذا جعل (آزر) اسم صنم وأما إذا جعل اسم أبي إبراهيم فوجهه ظاهر [1].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام : 92].

فإنذار أم القرى هو إنذار أهلها وهذا من مجاز الحذف، ففي الكلام حذف مضاف: أي ولتنذر أهل أم القرى، وأم القرى مكة، وسميت مكة أم القرى لأنها أقدمها وأشهرها، و" لأنها منشأ الدين، ولدحو الأرض منها ولأنها وسط الأرض، ولكونها قبلة وموضع الحج ومكان أول بيت وضع للناس "[2].

1-2-7-حذف جواب الشرط:

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام : 27]، وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام : 30]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ [الأنعام :93].

فـ " تقديره في هذه المواضع (لرأيت عجبا) أو (أمرا عظيما) أو (لرأيت سود منقلبهم) أو(سود حالهم)، والسر في حذفه في هذه المواضع ، أنها لما ربطت إحدى الجملتين بالأخرى حتى صار جملة واحدة أوجب ذلك لها فضلا وطولا، فخفف بالحذف خصوصا مع الدلالة على ذلك"[3].

ومن أنواع الحذف حذف المعطوف في مثل قوله تعالى :﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الأنعام : 13].

---

[1] - ينظر المفيد في إعراب القرآن المجيد : ج: 2 –ص: 175 .

[2] - تفسير البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي الغرناطي ، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية 1983 – ج: 4 –ص: 179.

[3] - البرهان في علوم القرآن للزركشي : ج: 3 –ج: 183.

فـــ " إنه قيل المراد (وما تحرك) وإنما أثر ذكر السكون لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد ، ولأن الساكن أكثر عددا من المتحرك ، أو لأن كل متحرك يصير إلى سكون "[1].

وبهذا فقد تنوعت أشكال الحذف في سورة الأنعام ، كما تجلى ذلك في الدلالة بحيث أضفي الحـــذف في كل صنف من هذه الأصناف إلى أسرار بلاغية ، بعضها عام ، وبعضها خاص حسب سياق الآية ، فقد يدل الحذف على التعظيم والتفخيم ، أو لعلم المخاطَبين بالمحذوف أو لقصد المبالغة والتهويل ، كما يـــأتي التخفيف ورعاية الفاصلة ، ويفتح الباب واسعا أمام القراءات المختلفة للنص ، وزيادة لذة إعمال الفكر في استنباط الذهن للمحذوف وما يضيفه للمعنى من إيحاءات جديدة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] – البرهان في علوم القرآن : الزركشي : ج:3 –ص: 119 .

2-الالتفـــــــــات :

يعد الالتفات ظاهرة أسلوبية جارية في الكلام العربي ، وهو إحدى خصائص العربية إذ هـــي لغـــة ملتفتة، وقلّما نجد ذلك في اللغات الأخرى .

وحقيقة الالتفات أنه نقل الكلام من أسلوب إلى آخر تطرية واستدرارا للسامع وتجديـــدا لنشـــاطه وصيانة لخاطره من الملال والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه كما قيل :

لا يصلح النفس إن كانت مصرفة إلا التنقل من حال إلى حال

وقد عرفه قدامة بن جعفر على أنه "نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أو من معنى إلى معنى آخر، وهو الاعتراض عند القوم ، وسماه آخرون الاستدراك ، وهو من نعوت المعاني" [1] .

بينما يقول حازم القرطاجني واصفا جماليته: " وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضـــمير مخاطب فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة، وكذلك أيضا يتلاعب المتكلم بضميره، فتارة يجعله تاءا على جهة الإخبار عن نفسه ، وتارة يجعله كافا فيجعل نفسه مُخاطَبا، وتارة يجعله هاءا فيقيم نفسه مقـــام الغائـــب فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير المتكلم والمخاطب لا يستطاب، وإنما يحسن الانتقال من بعضـــها إلى بعض"[2] ، وهو نقل معنوي لا لفظي، وشرطه أن يكون الضمير المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى الملتفت عنه، ليخرج نحو (أكرم زيدا وأحسن إليه) فضمير (أنت) الذي هو في (أكرم) غير الضمير في إليه .

ويرد الالتفات على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول: ما يرجع إلى مقامات الخطاب الثلاثة: الغيبة والخطاب والتكلم، نحو الانتقال من ضمير الخطاب إلى ضمير التكلم أو الغيبة أو العكس، وهو على ستة أوجه .

الضرب الثاني: وهو ما يعود إلى الرجوع من خطاب الواحد إلى خطاب التثنية أو الجمع أو العكـــس وهو كسابقه في عدد أوجهه .

الضرب الثالث : وهذا النوع مختص بالأفعال وهو على قسمين :

القسم الأول : ويكون الانتقال فيه من أسلوب الخبر إلى أسلوب الإنشاء أي من صـــيغة الماضـــي أو المستقبل إلى الإنشاء[3].

---

[1] نقد الشعر : قدامة بن جعفر ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي بمصر 1967 – ص: 167. البرهان : ج: 3-ص:119 .

[2] - منهاج البلاغة وسراج الأدباء : أبو الحسن حازم القرطاجني ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الثانية 1981- ص: 348 .

[3] - ودلك نحو قوله تعالى : ﴿ يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أُشهِدُ الله واشهَدُوا أني بريء مما تشركون من دونه ﴾ [هود :54-53] ، فلم يقل (إني أُشهِدُ الله وأُشهِدُكُمْ) لأن إشهاد الله على البراءة من

القسم الثاني: و فيه يتم الانتقال من صيغة المضارع إلى صيغة الماضي أو العكس .

غير أن أهم ضرب ورد في السورة بشكل ملفت للإنتباه هو الضرب الأول وهو أشهرها ، لـــذلك آثرنا الاقتصار عليه فأتي وفق الأنواع التالية:

2-2-أنواعه :

2-2-1- النوع الأول :

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب نحو قوله تعالى :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ(2)﴾ [الأنعام :1،2].

فـــ " الخطاب في قوله (خلقكم) موجه إلى الذين كفروا ، ففيه التفات من الغيبة إلى الخطـــاب لقصد التوبيخ" [1].

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ(6)﴾ [الأنعام :6]

فـــ" (لكم) خطاب لهم فهو التفات، والمعنى أن القرون المهلكة أعطوا من البسطة في الدنيا والسعة في الأموال ما لم يعط هؤلاء الذين حَظَوا على الاعتبار بالأمم السالفة وما جرى لهم ، وفي هذا الالتفـــات تعريض بقلة تمكين هؤلاء ونقصهم عن أحوال من سبق ، ومع تمكين أولئك في الأرض فقد حل بهم الهلاك فكيف لا يحل بكم على قلتكم وضيق خطتكم، فالهلاك إليكم أسرع من الهلاك إليهم" [2] .

قال ابن عطية: والمخاطبة في لكم هي للمؤمنين ولجميع المعاصرين لهم وسائر الناس كافة، كأنه قال ما لم نمكن بأهل هذا العصر لكم ، و يحتمل أن يقدر معنى القول لهؤلاء الكفرة [3].

الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشدّ معاقده ، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة مبالاتهم فحسب ، فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبغضه ليس الثرى بينه وبينه : أشهد علي أني لا أحبك تمكما به واستهانة بحاله - ينظر المثل السائر :ابن الأثير ، تحقيق : أحمد الحوفي وبدوي طبانة ،دار الرفاعي بالرياض ،الطبعة الثانية 1963، ج: 2-ص:183-184.والكشاف للزمخشري: ج: 3-ص:43.

[1] - التحرير والتنوير : مج: 4 -ج: 7 -ص: 129.

[2] - تفسير البحر المحيط : مج: 4 -ج: 7 -ص: 76.

[3] - ينظر المصدر نفسه : مج: 4 -ج: 4 -ص: 76.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(32) ﴾[الأنعام : 32] .

ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب ، وذلك أن الله تعالى لما ذكر الساعة وما يلحق المشركين فيها ذكّر الناس بأن الحياة الدنيا زائلة وهي لهو ولعب ، وأن هناك دارا أخرى هي الباقية وهي مأوى المتقين ثم توجه إلى المخاطَبين بـ (أفلا تعقلون) ، والمقصود من كان بحضرة الرسول من منكري البعث فيكون تهديدا لهم ويشمل المؤمنين فيكون لهم تذكرة ، وقُرِئَ بالياء عودا على ما قبل لأنها أسماء غائبة .

2-2-2-النوع الثاني :

التفات من الخطاب إلى الغيبة وهو في نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ(61) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ(62) ﴾ [الأنعام : 62] ، فالظاهر عود الضمير في (ردوا) على العباد وجاء (عليكم) على سبيل الالتفات لما في الخطاب من تقريب الموعظة من السامعين .

2-2-3-النوع الثالث :

الالتفات من الغيبة إلى الحضور (التكلم) :وذلك في قوله تعالى : ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(127) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ(128) ﴾ [الأنعام : 127-128] .

فقد قرأ "الجمهور (نحشرهم) بنون العظمة على الالتفات"[1]، ففي الآية السابقة لها يتكلم الله عن نفسه بنسبة اسمه إليهم أو بضمير الغائب و استعمل في (نحشرهم) ضمير التكلم ، وذلك تقريبا لموعد الحشر وتوثيقا لوقوعه ، وقرأ حفص بن عاصم وروح عن يعقوب بياء الغيبة ، والضمير المنصوب في (نحشرهم) عائد على الذين أجرموا المذكور في قوله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا

[1] - التحرير والتنوير : مج: 5 –ج: 8 –ص: 66.

كَانُوا يَمْكُرُونَ(124) ﴾ [الأنعام :124] ،أو الذين لا يؤمنون في قوله : ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ(125) ﴾ [الأنعام : 125][1] .

2-2-4-النوع الرابع :

الإلتفات من الغيبة إلى الحضور (التكلم):وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[الأنعام: 152] .

فقوله (لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا) احتراس ، وقد " عدل في هذا الإحتراس عن طريق الغيبة الذي بُني عليه المقول ابتداءا من قوله : ﴿ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام : 51] لما في هذا الاحتراس من الإمتنان، فتولى الله خطاب الناس فيه بطريق التكلم مباشرة زيادة في المنة وتصديقا للمبلغ، فالوصاية بإيفاء الكيل والميزان راجعة إلى حفظ مال المشتري في مضنة الإضاعة "[2].

2-2-5-النوع الخامس :

الالتفات من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة وهو في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(153) ﴾ [الأنعام :153] .

فالضمير المضاف إليه في (سبيله) يعود إلى الله تعالى بقرينة المقام، وضمير التكلم في (صراطي) عائد أيضا لله فيكون فيه التفات من ضمير المتكلم إلى ضمير الغيبة .

وأما النوع السادس فلم أعثر في السورة منه على شيء .

وفي هذه الأنواع كفاية إذ أنها ساهمت في توصيل المعنى القرآني عن طريق تنشيط السامعين واستجلاب صفائهم، وأضافت في كل آية وجدت بها مضامين جديدة من شأنها أن تتوغل إلى عقول المدعوين وأفئدتهم لتصل إلى الإقناع التام الذي لا يقوى عليه أحد من البشر مهما بلغ من قوة اللّسن.

[1] - ينظر التحرير والتنوير: مج: 5 –ج: 8 –ص: 66.

[2] -التحرير والتنوير : مج: 5 –ج: 8 –ص: 165-166.

3 – التقديم و التأخير :

هو أحد الأساليب البلاغية ، وقد أتى العرب به دلالة على تمكنهم في الفصاحة ، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم ، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق .

وقد اختلف في عده من المجاز، إذ به يتم نقل كل عنصر نحوي عن رتبته وموضعه كتقديم المفعول وتأخير الفاعل ، و الصحيح أنه ليس من المجاز لأن المجاز نقل ما وضع له في الأصل إلى ما لم يوضع له .

وإذا تأملنا هذه الظاهرة في سورة الأنعام فإنه يمكن لنا تقسيمها إلى نوعين نريدهما فيما يلي:

3 –1 أنواع التقديم ودلالاتها البلاغية :

3 –1 –1 النوع الأول :

نوع لا يظهر فيه تعلقه بالمسائل النحوية المباشرة ، و إنما له تعلق خفي بالمعنى إذ من خلاله يمكن أن نصل إلى نكت تقديم بعض المفردات أو الجمل على بعض ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1) ﴾ [الأنعام : 1].

وفيه تقديم الظلمة على النور و عطفه عليها لأن الظلمات سابقة على النور في الإحساس و كذلك الظلمة المعنوية سابقة على النور المعنوي قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] ،فانتفاء العلم ظلمة و هو متقدم بالزمان على نور الإدراكات[2].

ويسمى هذا النوع التقديم بالزمان ، إذ أن العطف بالواو لـ " مُطلق الجمع عند البصريين ، فإن قلت (جاء زيد وعمر) دل ذلك على اجتماعهما في نسبة المجيء إليهما ، واحتمل كون عمرو جاء بعد زيد أو جاء قبله أو جاء مصاحبا له ، وإنما يتبن ذلك بالقرينة ...فيعطف بها اللاحق و السابق و المصاحب "[3].

ويقول ابن مالك : فاعطف بواو لاحقا أو سابقا – في الحكم – أو مصاحبا موافقا [4]

---

[1] – النحل : 78.

[2] – ينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي: ج: 3 –ص: 240.

[3] – شرح ابن عقيل ،.ابن عقيل تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1995 – ج: 2 –ص: 208 .

[4] شرح الفية ابن مالك:تحقيق و تعليق محمد عبد العزيز العبد . دار الصحابة للتراث بطنطا الطبعة الأولى 1991–ص:75 .

و منها قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1)﴾ [الأنعام : 1]، فيه تقديم للمكان على الزمان .

ومن النكت أيضا التي تضمنتها أسرار الآيات في باب التقديم و التأخير تقديم الحياة على الموت وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162)﴾ [الآية 162]

فقد خلق آدم قبل أن يموت ، و الخطاب موجه للأحياء قبل موتهم .

ومن هذا النمط أيضا قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ(95)﴾ [الأنعام : 95] و في ذلك إشارة إلى شرف الحياة .

كما قدم أيضا شرف المجازاة بالحسنة على الجزاء على السيئة في قوله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(160)﴾

[الأنعام : 160] .

ومما تضمنه التقديم و التأخير من الدلائل البلاغية في قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(151)﴾ [الأنعام : 151] .

حيث قدم المخاطَبين في قوله (نرزقكم) في هذه الآية ، و أخرهم في سورة الإسراء فقال ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [1] ، وهذا في قوله (نرزقهم و إياكم) لأن الخطاب في الآية الأولى " في الفقراء بدليل قوله من إملاق ، فكان رزقهم عندهم أهم من رزق أولادهم فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم ، و الخطاب في الثانية للأغنياء بدليل (خشية إملاق) فإن الخشية تكون مما لم يقع فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم لأنه حاصل فكان أهم فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم "[2].

---

[1] - الاسراء : 31

[2] - البرهان في علوم القرآن: الزركشي: ج: 3 -ص:285

ويمثل هذا و غيره كان القـــرآن " المثـــل النموذجي الأسمى و المقياس المثالي الذي أجمعت القلـــوب و الأذواق على الركون إليه و الاحتكام إلى بيانه "[1] ، ولا يزال إذ هو المعجزة الخالدة على تعاقب الأزمنة و اختلاف الأمكنة .

3-1-2 النوع الثاني :

هو ما يظهر في كتب النحاة ، و إن كان في الآيات يغوص بالدلالة إلى أعمق بعد ممكن ، على أننا نكتفي في الرسالة بإيراد أمثلة لبعض الحالات دون استقصائها منها :

3- 1 - 2- 1 تقديم الخبر: ورد في قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ(67) ﴾ [الأنعام : 67] .

فـــ (مستقر) مبتدأ مؤخر، وشبه الجملة خبر ، وهذا في الأحكام النحوية سائغ إذا كان المبتـــدأ نكرة ، غير أنه أفاد في الآية تحقيق الوعيد إذ لكل موعود وقت يحصل فيه " و نهاية ينتهي إليها، فيتبين حقه وصدقه ، من كذبه و باطله "[2]

ومنه أيضا قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ(73) ﴾ [الأنعام : 73] .

حيث أن قوله (يوم يقول كن فيكون) ظرف وقع خبره ، متقدما عليه بالاهتمام به والمبتـــدأ هـــو (قوله) ، ويكون (الحق) صفة للمبتدأ ، و أصل التركيب الحق يوم يقول كن فيكون ، ونكتـــة الاهتمـــام بتقديم الظرف الرد على المشركين المنكرين وقوع هذا التكوين بعد العدم .

3 - 1 - 2-2 - تقديم الوصف بالجملة على الوصف بالمفرد : وذلك في قوله تعـــالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(155)... ﴾ [الأنعام : 155]. " فقوله (أنزلناه) في محـــل الرفع على النعت ، أي منزل ، وكذا(مبارك) نعت له أيضا ، أي كثير المنافع والفوائد"[3] وإنما قدم الجملـــة الفعلية لما فيها من نسبة إنزال الكتاب إلى الله تنويها بشأنه .

---

[1] - بيانات المعجزة الخالدة :حسن ضياء الدين عتر-دار النصر ,حلب سورية، (د ت) ، ص : 420

[2] - جامع البيان عن تأويل آي القرآن , تأليف أبي جعفر بن محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـــ) , دار الفكر بيروت لبنان 1984 - مج: 5 -ج: 7 -ص: 227

[3] - الفريد في إعراب القرآن المجيد: ج:2 -ص: 190

3 - 1- 2- 3 تقديم الجار و المجرور على مفعولي (جعل) : و ذلك في قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ(100) ﴾ [الأنعام : 100] .

وذلك لأن الإنكار موجه إلى الجعل لله لا إلى مطلق الجعل ، فقدم (الله) وذلك " أن النفس منتظرة لهذا المهم المعلق بهذا المعظم نهاية التعظيم ، فإذا علم أنه علق به هذا المستبشع في النهاية كان أعظم توقعا من العكس ، لأنه إذا قيل : وجعلوا شركاء لم يعطه تشوف النفوس لجواز أن يكون جعلوا شركاء في أموالهم وصدقاتهم وغير ذلك " [1].

3 – 1 – 2 – 4 – تقديم المفعول الثاني على الأول : وذلك أيضا في أحد أوجه الآية السابقة أي ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ(100) ﴾ [الآية 100].

فـ (شركاء الجن) مفعولين قُدم ثانيهما على الأول ، وفائدة التقديم " استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكا أوجنيا أو إنسيا أو غير ذلك " [2] وهذا على قراءة نصب الجن .

3 – 1 – 2 – 4 – تقديم المفعول أو الحال : و جاء في مثل قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ(114) ﴾ [الأنعام : 114] .

فـ " جوزوا في إعراب (غير) أن يكون مفعولا بأبتغي وحكما حال وعكسه " [3] وذلك أن هذه الآية نزلت عندما " قال مشركو قريش للرسول صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من أحبار اليهود و إن شئت من أساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك " [4] فوقع الإنكار أن يحكم غير الله تعالى فقدم المفعول به ، كون المقدم يتضمن جوابا لرد طلب طلبه المخاطب ، و الأمر نفسه في قوله

---

[1] - البرهان في علوم القرآن: الزركشي: ج3: -ص: 203

[2] - الكشاف: ج: 2 -ص: 52

[3] تفسير البحر المحيط : ج: 5 -ص: 209

[4] - المصدر نفسه : ج: 5 -ص: 208

تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164) ﴾ [الأنعام : 164].

وهكذا تتضح قيمة التقدم ببعض حقائق النحو كما تتضح ببعض فلسفة البلاغة فيكفي أن سبب تقديم المبتدأ على الخبر أن المبتدأ معلوم للمتكلم و السامع لأنه الموضوع الذي يجري الكلام عنه و المرء لا يتكلم إلا بما يعرف ، أما الخبر فهو مجهول للسامع و إلا ما استحق أن يساق إليه ، وفوق ذلك أن الفرق بين الجملتين الاسمية والفعلية في صورتهما النموذجية هو فرق تقديم وتأخير بسبب العلم والجهل في بعض الحالات ، أما في عرف البلاغيين فإن سبب التقديم هو الاهتمام بالشيء واعلاء شأنه ، وذلك أن التقديم هو نوع من التأكيد والدلالة على المراد .

على أن التقديم في الآيات التي مرت بنا فاق هذا الأمر إلى معان خفية لم تكن لتظهر إلا من خلال استنطاق دلالات تلك الآيات والبحث في بنيانها ، فأكسبتها من الحلل مالا يمكن لحظه في كلام البشر .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثّاني

البنية النحوية للجملة الخبرية ودلالتها البلاغية

1-الجمـــلة الاسمية المثبتة

2-الجمـــلة الاسمية المنفية

3-الجمـــلة الفعلية المثبتة

4-الجمـــلة الفعلية المنفية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجملـــــة :

تعددت تعاريف الجملة واختلفت باختلاف وجهات نظر اللغويين ، وأيا ما كان الاختلاف فالجملة هي مجموعة العلاقات النحوية الرابطة بين أفراد الكلام ، وهي " أكبر وحدة قابلة للتحليل في المادة اللغوية " [1] ، أوهي " أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر" [2]

أما ريمون طحان فالجملة عنده " تركيب يتألف من ثلاث عناصر أساسية المســـند و المســـند إليـــه والإسناد وقد تضاف إليها عناصر أخرى حين لا تكفي العملية الاسنادية بذاتها"[3] وهي" المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهـــن المتكلم إلى ذهن السامع" [4]

وتنقسم الجملة إلى خبرية (مثبتة ومنفية) وإنشائية ، أما الخبرية فهي التي تخبرك بشيء وتنقســـم إلى جملة اسمية وجلة فعلية ، مع تقسيم كل من قسميها إلى مثبتة ومنفية .

أما من الناحية الوظيفية فيمكننا أن نقسمها أيضا إلى قسمين: جمل لها محل من الإعراب وجمل أخرى ليست لها محل من الإعراب ، وذلك أن القسم الأول منها يحل محل المفرد كالفاعل والمفعول والحال والمفرد والنعت بينما يتعذر على القسم الثاني أداء وظيفة المفرد ، وفي ذلك يقول الناظم المرادي (ت 749 هـــ) :

جمل أتت لها محل معرب *** تسع لأن حلّت محل المفـــرد

وأتت سبع مالها من موضع *** صلة ومعترض وجملة مهتدي [5]

كما يلاحظ أن النحاة لم يشترطوا للجملة أن تدل على معنى يحسن السكوت عليه ، ولذلك كانـــت الجملة عندهم عبارة عن تركيب إسنادي سواء أتمت به الفائدة أم لم تتم ، على حين أنهم جعلوا (الكـــلام) القول المفيد بالقصد ، أي ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه ، و لذلك كانت الجملة أعم من الكـــلام إذ شرطه الإفادة بخلافها .

---

1 - الأسلوب دراسة لغوية إحصائية : الدكتور سعد مصلوح , دار البحوث العلمية – القاهرة الطبعة الأولى 1980 – ص: 3

2 - من أسرار اللغة : الدكتور :إبراهيم أنيس ،المكتبة الأنجلومصرية، الطبعة السادسة 1978 – ص: 191

3 - الألسنية العربية : طحان ريمون، دار الكتاب اللبناني ، بيروت الطبعة الثانية 1981 – ج: 2 –ص: 54

4 - في النحو العربي(نقد و توجيه) : الدكتور مهدي المخزومي ، المكتبة العصرية لبنان 1964 – ص : 31

5 - التعليقات الوافية على شرح الأبيات الثمانية (نحو الجمل) عبد العزيز الهادي : دراسة وتحقيق: مختار بوعناني ، منشورات الفجر وهران، الجزائر 1995- ص : 27 .

وسنخصص هذا الفصل للجملة الخبرية الاسمية و الفعلية المثبتة منهما و المنفية ، ونبدأها بالجملة الاسمية .

1 – الجملة الاسمية المثبتة :

ونعني بالجملة الاسمية الجملة التي لا يكون فيها المسند فعلا و لا جملة [1]، وتتكون من المبتدأ و الخبر و" المبتدأ كل إسم ابتدئ ليبنى عليه الكلام " [2] ، "و المبتدأ لم يكن مبتدأ لأنه منطوق به أولا ، و لا كان الخبر خبرا لأنه مذكور بعد المبتدأ ، بل كان المبتدأ مبتدأ لأنه مسند إليه و مثبت له المعنى ، و الخبر خبرا لأنه مسند و مثبت به المعنى " [3].

فالجملة الاسمية موضوعة للإخبار بثبوت المسند للمسند إليه ، بلا دلالة على تجدد أو استمرار ، و إن كان خبرها اسما فقد يقصد به الدوام و الاستمرار الثبوتي بعونة القرائن، و إن كان خبرها مضارعا (جملة فعلية فعلها مضارع) فقد يفيد استمرارا تجدديا إذا لم يوجد داع إلى الدوام ، و ليس كل جملة اسمية مفيدة للدوام ، فإن (زيدٌ قائمٌ) يفيد تجدد القيام لا دوامه ، و نظامها يجري على هذا النحو ، مبتدأ (مسند إليه) + خبر (مسند) ومتعلق ظرفي بالجملة الاسمية .

و تنفرد هذه الجملة بالدلالة على العلامة بين طرفي الإسناد ، و على المبتدأ يعتمد في التفريق بين الجملة الاسمية و الفعلية ، و قد يتقدم عليه الخبر وجوبا أو جوازا إن كان اسمين أو كانا مما يعد في المفردات كالمصدر المؤول [4] وقد وردت أنواع الجملة الاسمية كما يأتي :

1-2 – أنواعها ودلالاتها البلاغية :

1 –2 – 1 –الجملة الاسمية المجردة من النواسخ :

ومن الأنماط التي وردت عليها قوله تعالى :﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1)﴾ [الأنعام : 1].

---

[1] – مدخل إلى دراسة اللغة العربية : محمود أحمد نحلة ،دار النهضة العربية ، بيروت 1988 ،ص : 25 .

[2] – الكتاب : سيبويه ،ج:2 –ص:126 .

[3] – دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، تعليق : محمود شاكر , مكتبة الخانجي الطبعة 2 القاهرة 1989 – ص : 189 .

[4] – ينظر الكليات : الكفوي ، تحقيق عدنان درويش و محمد المصري ، وزارة الثقافة ، دمشق الطبعة الثانية 1981 –1982 – ج: 2 –ص:153.

فالمبتدأ معرفة ، و الخبر شبه جملة أو متعلق بها ، فدل تعريف الخمد بـــ"أل" الجنسية على انحصار استحقاق هذا الجنس لله دون غيره ، وهي دالة على الخبر لفظا و معنى ، وهذا قصر إضافي للرد على المشركين .

ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(12) ﴾ [الأنعام : 12] .

فجاء المبتدأ إسما موصولا و الخبر جملة اسمية ، فالذين مبتدأ و جملة (هم لا يؤمنون) خبره وقرنت جملة الخبر بالفاء [1] لأن الموصول تضمن معنى الشرط على نحو قوله تعالى : ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ﴾ [2] " فأشرب الموصول معنى الشرب ليفيد كل من اتصف بمضمون الصلة المنزلة منزلة جملة الشرط ، فيفيد أن ذلك مستمر الارتباط و التعليل في جميع أزمنة المستقبل التي يتحقق فيها معنى الصلة ، فقد حصل في هذه الجملة من الخصوصيات البلاغية ما لا يوجد مثله في غير الكلام المعجز " [3] فكأنه قيل " من يخسر نفسه فهو لا يؤمن " [4] ، و معنى (خسروا أنفسهم) أضاعوها كما يضيع التاجر رأس ماله ، فالخسران مستعار لإضافة ما شأنه أن يكون سبب نفع [5]

ومنها أيضا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ(36) ﴾ [الأنعام : 36].

فإذا نظرنا إلى البنية الظاهرة للجملة وجدناها تتكون من مبتدأ مفرد معرف وجملة فعلية تمثل الخبر غير أن النكتة البلاغية في هذه الجملة تتمثل في عطفها بعد الكلام عن المشركين ، و لم نخصص للعطف مبحثا في هذه الرسالة فارتأينا أن نذكر ذلك هنا ، فقد تضمنت هذه الجملة بعطفها على ما سبق تعريضا

---

[1] - جاء في الهمع : "ولما كان الخبر مرتبطا بالمبتدأ ارتباطا المحكوم به بالمحكوم عليه لم يحتج إلى حرف رابط بينهما كما لم يحتج الفعل و الفاعل إلى ذلك , فكان الأصل أن لا تدخل الفاء على شيء من خبر المبتدأ ، لكنه لما لحظ في بعض الأخبار معنى ما يدخل الفاء فيه دخلت وهو شرط الجزاء " همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : جلال الدين عبدالرحمان السيوطي , تحقيق عبد السلام هارون و د : عبد العال سالم مكرم – دار البحوث العلمية – القاهرة 1975 –ج:2 –ص: 56

[2] - النساء :15

[3] - التحرير و التنوير : مج: 4 –ج: 7 –ص: 154 .

[4] - تفسير البحر المحيط : مج: 5 –ج: 7 –ص: 83.

[5] - ينظر التحرير و التنوير : مج: 4 –ج: 7 –ص: 154.

بأن هؤلاء المشركين كالأموات لا ترجى منهم استجابة و تخلص إلى وعيدهم بالبعث بعد الموت ، فلا يرجى منهم رجوع إلى الحق إلى أن يبعثوا فيلاقون حين ذلك جزاء كفرهم فاستعيرت كلمة "الموتى" لمن لا ينتفعون بعقولهم و مواهبهم ، وأتت جملة يبعثهم على حقيقتها كترشيح للإستعارة ، لأن البعث من ملائمات المشبه به في لغة العرب [1] .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ(133) ﴾ [الأنعام : 133] .

نجد أن المبتدأ (ربك) اسم ظاهر معرف بالإضافة ، كما أن الخبر معرف بـ " أل" ، وكان من المفترض في هذه الآية من خلال السياق أن يقال (وهو الغني) فهذا مقتضى الظاهر أي أن يؤتى بالضمير (هو) في مكان (ربك) إلا أنه عُدِلَ عن هذا ، وأظهر في مقام الإضمار لما في اسم الرب من دلالة على العناية بصلاح المربوب ، والمنّ و التذكير بنعمة ربوبية الله على عباده وتربيته لهم و خاصة النبي صلى الله عليه وسلم ومن يتلوا الآية أو يسمعها من خلال ما يشير إلى ضمير الخاطب في (ربك) ، كما أن الإظهار فصل للجملة على ما سبقها ، وفي تعريف المسند (الخبر) باللام تخصيص له بالمسند إليه ، أي قصر الغنى على الله ، و" هو قصر ادعائي باعتبار أن غنى غير الله تعالى لما كان غنى ناقصا نُزل منزلة العدم ، أي ربك الغني لا غيره " [2]

وفي قوله تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(155) ﴾ [الأنعام : 155] .

ابتدئ باسم الإشارة وذلك ليجعل القرآن كالحاضر المشاهد وذلك للرد على إدعاء المشركين و أهل الكتاب من أنه من عند النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا تبكيت لهم و تمييز لكتاب الله بإحضاره في أذهانهم ، وبناء فعل (أنزلناه) على خبر اسم الإشارة وهو (كتاب) الذي هو عينه في المعنى لإفادة التقوية .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

[1] - ينظر التحرير و التنوير: مج: 4 –ج: 7 –ص: 208.

[2] - المصدر نفسه: مج: 5 –ج: 8 –ص: 85 .

الْمُسْرِفِينَ (141) ﴾ [الأنعام : 141] جاء المبتدأ معرفة مضمرا و الخبر اسما موصولا ، وتعريفه يفيد الاختصاص أي هو الذي أنشأ لا غيره ، وفي الخطاب اعتبار و امتنان إذ هو موجه إلى المؤمنين و المشركين ، وفيه إبطال لمزاعم المشركين إذ جعلوا نصيبا من الحرث و الأنعام لأصنامهم .

و منه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (95) ﴾ [الأنعام : 95] .

ففي قوله (ذلكم الله) اسم الإشارة مبتدأ و لفظ الجلالة خبره ، وكلا الطرفين معرفة ، و " الإشارة بـ(ذلكم) لزيادة التمييز و للتعريض لغباوة المخاطَبين المشركين لغفلتهم عن هذه الدلالة على أنه المتفرد بالإلهية ، أي ذلكم الفاعل الأفعال العظيمة من الفلق ، وإخراج الحي من الميت و إخراج الميت من الحي وهو الذي يعرفه الخلق باسمه العظيم الدال على أنه الإله الواحد و المقصور عليه وصف الإلهية فلا تعدلوا به في الإلهية غيره" [1].

كما يكون اسم الإشارة خبرا في نحو قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82) ﴾ [الأنعام :82] فالذين مبتدأ ، وخبره جملة (أولئك لهم الأمن) والإشارة بقوله أولئك لهم الأمن للتنبيه على أن المسند إليه جدير بالمسند من أجل ما تقدم من أوصاف المسند إليه.

وفي قوله (لهم الأمن) أشارت اللام إلى أن الأمن مختص بهم وثابت وهو أبلغ من أن يقال (آمنون) والمراد الأمن من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

وأبعد من جعل(لهم الأمن) خبر(الذين) وجعل(أولئك) فاصلة ، إذ أن (لهم الأمن) خبر(أولئك) وجملة(أولئك) خبر (الذين).

كما وردت آيات أخرى تقدم فيها الخبر على المبتدأ سواء كان معرفة أم نكرة كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (62) ﴾ [الأنعام : 62] فتقدم المجرور في قوله (له الحكم) يدل على قصر الحكم على الله والاختصاص به أي له لا لغيره ، وذلك للرد على المشركين وتسفيههم بتحكيم أصنامهم وساداتهم الظلمة .

[1] – التحرير والتنوير : مج : 4–ج: 7–ص: 388

ولست قاصدا في هذه الرسالة استقصاء جميع الحالات التي يردُ المبتدأ و الخبر في أشكالهما المختلفة فيها إذ أن الأمر أوسع بكثير من أن تستوعبه رسالة من هذا النوع ، و لكن العمل هنا لا يتعدى عرض أمثلة تتكرر بُناها كثيرا في آيات السورة ، وإنما هي إشارة فقط لما يحمله كل عنصر من عناصر العملية الإسنادية في الجملة الاسمية حينما يلتزم حالة ما كتعريف المبتدأ بـ" أل " أو بالإضافة أو بإيراده ضميرا أو إسم إشارة متقدما كان أو متأخرا و مثله الخبر في حالاته المختلفة مع إبراز الدلالة البلاغية التي تختص أحيانا بالآية ، و أحيانا تتخذ صفة الاطراد فتتقنّن و تنطبق على جميع الأشكال المماثلة .

1- 2 -2 الجملة الاسمية المنسوخة بأن و أخواتها :

إن وأخواتها " من نواسخ الابتداء المشبهة بالفعل [1] و قد جاءت إن و أخواتها في السورة وفق أنماط متعددة بالحروف (إنّ-أنّ-ليت-لكن-لعلّ) و سنعرِّج على بعضها

كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(21) ﴾ [الأنعام :21] ، فموقع "إن" في هذا المقام أفاد التعليل ، و موقع ضمير الشأن بعدها أفاد الاهتمام بهذا الخبر اهتمام تحقيق لتقع الجملة الواقعة بعده تفسيرا له في نفس السامع موقع الرسوخ ، و الجملة تذييل للجملة التي قبلها كما أفادت "إن" التعليل في قوله تعالى: ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ(120) ﴾ [الأنعام : 120] وهي في مثل هذا المقام أي مقام تعقيب الأمر أو الإخبار تفيد معنى التعليل .

كما افتتحت الجملة الاسمية بـ "إن" في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ(95) ﴾ [الأنعام : 96] مع " أنه لا يذكر أن الله فاعل الأفعال المذكورة في الآية ، لأن النظر و الاعتبار في دلالة الزرع على قدرة الخالق على الإحياء بعد الموت كما قدر على إماتة الحي لما كان نظرا دقيقا قد انصرف عنه المشركون فاجترءوا على إنكار البعث كان حالهم كحال من أنكر أو شك في أن الله فالق الحب و النوى ، فأكد الخبر بحرف (إن)" .[2]

[1] - ينظر همع الهوامع للسيوطي :ج: 2 -ص: 148 .

[2] - التحرير و التنوير : مج :4 -ج: 7 -ص: 387 .

ومن الدلائل البلاغية لـ" إن " في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(165)﴾ [الأنعام : 165] " الاقتصار في وصف سريع العقاب على مؤكد واحد ، وتعزيز وصف الغفور الرّحيم بمؤكدات ثلاثة وهي : إن، لام الابتداء ، و التوكيد اللفظي ، لأن الرحيم يؤكد معنى الغفور، ليطمئن أهل العمل الصالح إلى مغفرة الله و رحمته و ليستدعي أهل الإعراض و الصدود إلي الإقلاع عن ما هم فيه " [1] و بهذا ختمت السورة .

وجيء بالجملة الاسمية للدلالة على ثبات هذا الوصف و دوامه لأنه وصف ذاتي لله تعالى .

ومن ورود (أن) [2] داخلة على الجملة الاسمية كقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(153)﴾ [الأنعام : 153] فقد أتت (أن) في هذه الآية مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [3] أي و لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحد ، فـ(أن) في آية الأنعام مدخولة للام التعليل محذوفة و التقدير واتبعوا صراطي لأنه صراط مستقيم فأخر الفعل و قدم التعليل ، ليكون التعليل بمنزلة الشرط ، فكأنه أراد : لما كان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه .

كما وردت لكن في مواضيع كثيرة و لم تخرج عن معنى الاستدراك الذي تلازمه [4]

وذلك في نحو قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ(33)﴾ [الأنعام : 33] .

فقوله تعالى (ولكن الظالمين...) استدراك على الذي قبله من الآية ، فحالهم حال المصدق في نفسه وناسب من يأتي بالصدق إلى الكذب ،و " أقيم الظاهر (أي الظالمين إسم لكن) مقام المضمر تنبها على أن

---

[1] - التحرير و التنوير: مج :5 -ج: 8 -ص: 212 .

[2] -وتكون للتوكيد كالمكسورة المشددة إلا أن الفرق بينهما أن هذه مفتوحة وتكون أبدا في موضع اسم مفرد معمول لغيره ، نحو أعجبني أنك قائم ، التقدير أعجبني قيامك ، ينظر رصف المباني : أحمد عبد النور المالقي (ت 702 هـ) ، تحيق : أحمد الخراط، مطبعة زيد ابن ثابت دمشق 1975 -ص : 125.

[3] - الجن : 18.

[4] - ينظر الجني الداني في حروف المعاني : الحسن بن قاسم المرادي (ت 749 هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية ، حلب الطبعة الأولى -1972 -ص: 247.

علة الجحود هي الظلم "[1] ، و تسجيلا على المشركين بأن الظلم سجيتهم ، وعدي (يجحدون) بالباء للتأكيد تعلق الجحد بالمجحود في جملة خبر لكنّ .

أما (لعلّ) فقد اطرّد استعمالها في بنى متشابهة كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ(42) ﴾ [الأنعام : 42] .

وقوله ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(151) ﴾ [الأنعام : 151] .

وقوله تعالى :﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(152) ﴾ [الأنعام : 152].

وقوله تعالى :﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(153) ﴾ [الأنعام : 153].

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ(154) ﴾ [الأنعام : 154] .

وقوله تعالى :﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(155) ﴾ [الأنعام : 155].

وقد أتى في كل ذلك اسم(لعل) مضمرا وخبرها جملة فعلية تبلغ المخاطبين مما يترجونه إن عملوا بأوامر ربهم وانتهوا عما نهاهم عنه في وصايا الآيات التي كان تذييلها بجملة (لعل) ، فبقيت على أصلها في

[1] - تفسير البحر المحيط : مج :4 –ج: 7 –ص: 112 .

دلالتها على ترجي المحبوبات [1] والوعد على إتباعه و التعريض بالوعيد بعذاب الدنيا و الآخرة إن لم يتبعوا أوامره .

ووردت (ليت) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27)﴾ [الأنعام : 27] فأتى اسمها ضميرا و خبرها جملة فعلية متمناة ، فلم تخرج(ليت) عن ما هي جارية عليه في أداء المعنى .

ومن النواسخ (إن) النافية للجنس وردت في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29)﴾ [الأنعام : 29] .

فـ (إن) نافية للجنس وقد أتى اسمها ضميرا مبهما يفسره ما بعد الاستثناء وقصد من إبهامه الإيجاز و فسر الضمير بنكره ، فهو في حكمها وليس هو ضمير قصة وشأن إذ لا يستقيم معه معنى الاستثناء ومعنى قولهم (أن لا حياة لنا إلا حياتنا الدنيا) أي انحصر جنس حياتنا في حياتنا الدنيا ، و الاسم الواقع بعد إلا في حكم البدل من الضمير [2]

كما أتت إن وأخواتها في مواضع كثيرة وفي بنيات مختلفة أثرنا الاقتصار على ما سلف بغية الاختصار .

1-2-3-الجملة الاسمية المنسوخة بـ(كان) و أخواتها :

أما كان فقد وردت وحدها من أخواتها في موضع الإثبات ، وهي في كثير من الآيات مقترنة بما المصدرية في الجملة التي ترد تذليلا للآية كقوله تعالى : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (5)﴾ [الأنعام : 5] .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43)﴾ [الأنعام : 43] لتؤكد صفة الاستمرارية و التشبث بالعمل أو الاعتقاد الجاري ، وتتقدم أحيانا قبلها باء السببية في مثل قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (49) ﴾ [الأنعام : 49].

---

[1] ينظر المقتضب : أبو العباس أحمد بن زيد المبرد (ت 885 هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة 1962 – ج: 3 –ص: 73 .

[2] – ينظر التحرير و التنوير: مج: 4 –ج: 7 –ص: 187 .

وقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(127) ﴾ [الأنعام :127] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(108) ﴾ [الأنعام : 108] .

و قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ(124) ﴾ [الأنعام : 124] .

و قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(129) ﴾ [الأنعام : 129] .

و قوله تعالى : ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ(157) ﴾ [الأنعام : 157] .

و قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(159) ﴾ [الأنعام : 159] .

فيكون اسمها مضمرا و خبرها جملة فعلية تحمل الصفة اللازمة للمخبر عنهم و التي كانت سببا لسوء الجزاء في الغالب .

على أننا لا نعدم وجود صيغ أخرى لها كوقوعها بصيغة المضارعة مؤكدة في قوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ(63) ﴾ [الأنعام : 63] أو غير مؤكدة مقترنة بالفاء في جواب النهي ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ(52) ﴾ [الأنعام : 52] ، أو في جملة مستثناة نحو ﴿ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ [الأنعام : 145] ، وقد تأتي بعد (من) في مثل قوله تعالى ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ﴾ [الأنعام : 135] ، أو بعد كيف الحالية و هي صيغة الماضي

في مثل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11) ﴾ [الأنعام : 11] ، وهي في كل هذا ترد لتعلق الوصف الذي تحمله بصاحبها حتى لا يكاد ينفصل عنه .

و بهذا فقد وظف الأسلوب القرآني الجملة الاسمية بتراكيبها المختلفة و المتنوعة توظيفا دقيقا حسب السياق ، لا يتوقف عند الدلالة العامة للكلمة في الجملة بل يجعل منها كائنا يتلون وفقا و الموقف مما يضفي عليها في كل مرة لباسا خاصا لا يكاد يميزه إلا الأذكياء من المفسرين ، و هو في كل وقت لا يبخل بعطاءاته الدلالية و البلاغية المتجددة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2 – الجملة الاسمية المنفية :

سبق تعريفنا للجملة الاسمية على أنها التركيب الذي يتضمن عملية إسنادية واحدة

أما " النفي فهو سلب الأمر بواسطة أحد أحرف النفي ... أو بواسطة فعل يفيد النفي كقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [1] " [2] ففعل النفي هو ليس .

و نفي الجملة الاسمية يكون بتسبيق أداة نفي على ركنها الأول (المبتدأ) بحيث يسلب نسبة الخبر إليه ، و تنقسم أدوات النفي إلى ثلاثة أقسام : منها ما كان لنفي الفعل و منها ما كان لنفي الاسم و منها ما كان مشتركا

فمن الأدوات التي تختص بنفي الاسم (لات)و هي من أخوات (ما) الناسخة تعمل عمل (ليس) و تدخل على المبتدأ و الخبر رافعة الأول اسما لها و ناصبة الثاني خبرا لها و هي تعمل بشرطين :

1 – أن يكون معمولاها اسمي زمان

2 – أن يحذف أحد معموليها و الغالب حذف الاسم [3]

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [4] و مما يشترك فيه نفي الاسم و الفعل من الأدوات

لا : وتعمل في ما بعدها فتنصبه من غير تنوين ، كما تعمل عمل (ليس الناسخة)

وما: العاملة عمل ليس .

وإن : تعمل عمل ليس أيضا .

و أما أدوات نفي الفعل فنرجئها إلى مبحث لاحق ، والغالب في استعمال ليس نفي الحال و"يلاحظ أن خبرها كثيرا ما يتقدم على اسمها إذا كان جارا و مجرورا ، و لم يأتي اسمها معرفا بـ " أل "و الغالب فيه التنكير " [5]

و قد تنوعت الجملة الاسمية المنفية بتنوع أدوات النفي فجاءت كما يلي :

---

[1] – البقرة : 177 .

[2] – المعجم المفصل في النحو العربي ، عزيزة فوال بابتي ، دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان، الطبعة الأولى 1992 –ج: 2 –ص: 1126

[3] – مختصر النحو : الهادي الفضلي , دار الشرق ، جدة ، المملكة العربية السعودية 1990 – ص : 91 .

[4] – ص~ : 02.

[5] أساليب النفي في القرآن : الدكتور أحمد ماهر البقري , دار المعارف ، مصر ، 1980 – ص :79.

2-2- أنواعها و دلالاتها البلاغية :

2-2-1 - الجملة الاسمية المنفية بـــ"لا" :

وجاءت في مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (34) ﴾ [الأنعام : 34] .

فـــ(لا) لنفي الجنس و(مُبدِّل) اسمها و شبه الجملة خبرها و" نفي المبدل في هذه الآية كناية عن نفي التبديل ، أي لا تبديل لأن التبديل لا يكون إلا من مُبدِّل و معناه أن غير الله عاجز على أن يبـــدل مـــراد الله، و أن الله أراد أن لا يبدل كلماته في هذا الشأن " [1] و فيه تطمين النبي صلى الله عليه وسلم أن دينه محفوظ و أن أمر الله لا رادّ له ، و كلمات الله وحيه إلى رسله الدال على وعدهم بالنصر ،

و على نفس الطريقة أتى قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(115) ﴾ ([الأنعام : 115] .

و معنى (لا مبدل لكلماته) نفي جنس من يبدل كلمات الله أي من يبطل ما أراد الله في كلماته .

وقد جاءت إضافة الكلمات إلى اسم الجلالة الظاهر في الآية الأولى لأنه غير مصرح به قبل ذلـــك في نص الآية أما في الآية الثانية فقد ذُكر قبل الجملة المنفية باسم الرب فحسُـــن إضـــافة الكلمـــات إليـــه بالمضمـــر، خصوصا و أنه قد أتبع باسمين من أسمائه الحسنى .

و في الآية إن كان المراد بالكلمات القرآن فمعنى انتفاء المبدل لكلماته انتفاء الإتيان بما ينقضـــه و يبطله أو يعارضه ، بأن يظهر بأن فيه ما ليس بتمام ، فإن جاء أحد بما ينقضه كذبا و زورا فليس ذلـــك بنقض ، و إنما هو مكابرة في صورة النقض بالنسبة إلى ألفاظ القرآن و نظمه ، و انتفاء ما يبطل معانيـــه و حقائق حكمته و انتفاء تغيير ما شرعه و حكم به ، و هذا الانتفاء الأخير كناية عن أن يخالفه المسلمون و بذلك يكون التبديل مستعملا في حقيقته و مجازه و كنايته [2] .

أما (لا) كحرف نفي زائد فقد ورد في قوله تعالى : ﴿وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام : 91] .

---

[1] - التحرير و التنوير : مج: 4 -ج: 7 -ص: 202

[2] -ينظر المصدر نفسه : مج: 5 -ج: 8 -ص: 21

و قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام : 51] ودلالتها البلاغية هنا هي تأكيد النفي .

2 –2 – 2 – الجملة الاسمية المنفية بـــ"ما" :

و قد أتى النفي بـــ(ما) في عدة مواضع و كانت بحملها حجازية تعمل عمل " ليس" منها قولـــه تعالى : ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام : 29] .

فـــ"ما" حجازية تعمل عمل "ليس" و نحن : ضمير منفصل اسمها و الباء حرف جر زائد ، و مبعوثين مجرور لفظا منصوب محلا على أنه خبر ما ، و ما أراده المشركون هو نفي البعث و نفي حياة أخرى غـــير الحياة الدنيا ، ذلك أن العرب في جاهليتهم كانت لا تسع آفاقهم التصورية و الشعورية و الفكرية للاعتقاد في حياة أخرى غير هذه، و" لا في عالم آخر غير هذا العالم .. ولا في امتداد الذات الإنســـانية إلى آمـــاد وآفاق وأعماق غير هذه الآماد المحسوسة ، مشاعر وتصورات أشبه شيء بعبث الحيوان وتصوراته ، وهذه العقيدة التي تقصر الحياة على هذه الرقعة الضيقة من الزمان والمكان تطلق السعار في النفس ، والتكالـــب على المتاع المحدود ... كم تطلق الشهوات من عقالها تعربد بلاكابح و لا هدنة ولا أمل في عوض يستحق أن تنشأ في ظلها حياة إنسانية رفيعة كريمة " [1] .

والقرآن بهذا التركيب البسيط يستدعي المسلم لان يزاول حياته وهو يشعر أنه أكبر منها ويستشرف إلى تلك الآفاق البعيدة و الآماد الواسعة في رحاب عبودية الله ورجاء جنته .

وعلى شاكلته قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام : 56] .

فقد عطفت جملة (ما أنا من المهتدين) على التي قبلها للدلالة على أنه جزاء آخر للشرط المقـــدر وفيها أتى الأسلوب القرآني لتأكيد الشيء بنفي ضده ، فنفي الاهتداء تأكيد للظلال ، وكما أتى في الخبر بالجار والمجرور فقيل من(المهتدين) و لم يقل وما أنا مهتد لأن المقصود نفي الجملـــة الـــتي خبرهـــا مـــن المهتديـــن و " ال " في المهتدين لإفادة تعريف الجنس ، وإخبار المتكلم عن نفسه بأنه من المهتدين يفيد أنه مهتد إفادة بطريقة تشبه طريقة الاستبدال ، فهو من قبيل الكناية التي هي إثبات الشيء بإثبات ملزومه وهي أبلغ من التصريح ، ولهذا كان نفي هذا الخبر نفي لهذه النسبة الكنائية فكانت أبلغيته في النفي كأبلغيتـــه في

[1] - في ظلال القرآن : سيد قطب: مج: 3 -ج 7 –ص: 1070.

الإثبات لأن المقاد الكنائي هو هو [1] ،وفسره الزمخشري بقوله : " وما أنا من الهدى في شـــي " [2] وعلـــى منواله أتى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : 79].

ومما أتى فيه النفي بـــ (ما) قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام : 104] وهي تكميل لما تضمنته الآية قبلها ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾ ، و الإتيان بالجملة الاسمية هنا دقيق لأن الحفيظ لا يفيد غيره مفاده و لا يقوم مقامه فعل (حفظ) ، فالحفيظ صفة مشبهة يقدر لها فعل منقول إلى فَعُلَ بضـــم العين لم ينطق به مثل الرحيم ، كما دل تقدم (عليكم) على (حفيظ)على الاهتمام ورعاية الفاصلة ، قال الطبري في تأويلها : " وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أفعالكم ،و إنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم "[3]، ومثل بنية هذه الجملة قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام : 107] في الآية الســـابقة لها.

و من أنماط النفي بـــ " ما " قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام : 52] .

فـــ " ما " حرف نفي ، وعليك : جار و مجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم ، ومن حسابهم : جار و مجرور وهو متعلق بمحذوف حال ، و"من" حرف جر زائد و شيء : مبتدأ مرفوع بالضمة منـــع مـــن ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد .

و الأمر سيان في الجملة التي بعدها أي (ما من حسابك عليهم من شيء) و (على) هنا دالة علـــى معنى اللزوم و الوجوب لأن النبي صلى الله عليه وسلم همّ بإجابة صناديد المشركين لما سألوه فَنَبَّه بهـــذا على عدم الاشتغال بهم و لزوم الفقراء المؤمنين ، و " تقدم المسندين على المسند إليهما في قوله (ما عليك من حسابهم من شيء و ما من حسابك عليهم من شيء) تقدم جائز لأن الابتداء بالنكرة هنا مصوغـــا و هو وقوعهما في سياق النفي ، و الغرض منه إفادة الاختصاص ، و عليه فمعنى الكلام قصر نفي حسابهم على النبي صلى الله عليه وسلم ليفيد أن حسابهم على غيره و هو الله تعالى فوقع القصر هنـــا بواســـطة

[1] - ينظر التحرير والتنوير : مج: 4 –ج: 7 –ص: 263.
[2] - الكشاف : 2 –ص: 30 .
[3] - جامع البيان : الطبري : مج: 5 –ج: 7 –ص: 305

التقديم في سياق النفي "[1] ، و (من في قوله من شيء زائدة لتوكيد النفي للتنصيص على الشمول في سياق النفي .

و" قد اجتمع في الكلام خمسة مؤكدات و هي (من البيانية) و (من الزائدة) و تقديم المعمول وصيغة الحصر في قوله (ما عليك من حسابهم من شيء) و التأكيد بالتتميم بنفي المقابل في قوله (و ما من حسابك عليهم من شيء) فإنه شبيه بالتوكيد اللفظي ، و كل ذلك للتنصيص على منتهى التبرئة من محاولة إجابتهم لاقتراحهم "[2]

2 – 2 –3 – الجملة الاسمية المنفية بـــ"ليس" :

أما ليس فوردت لنفي الجملة الاسمية بأشكال متعددة منها قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[الأنعام :51] .

فقوله تعالى(ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع) في موضع الحال من يحشروا ، و قد تقدم اسم ليس النكرة على شبه الجملة المتعلق بالخبر ، وكذلك الأمر في قوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام : 70]

كما ورد اسم ليس مضمرا متصلا في قوله تعالى : ﴿ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [الأنعام : 67] و فيه رد على المشركين لأنهم كانوا يرون أنفسهم أنهم قد أغاظوه عندما لم يجيبوا دعوته ، وقد أفاد تعدية وكيل بـــ "على" معنى الغلبة و السلطة أي لست بقيِّم عليكم لمنعكم من التكذيب ، فالنبي صلى الله عليه وسلم ليس حارسا عليهم و لا موكلا بهم بعد البلاغ و لا مكلّفا أن يهدي قلوبهم[3] .

و مثل سابقه قوله تعالى : ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾[الأنعام : 159] ، فنفي الصلة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين من فرقوا دينهم ، و (من) اتصالية و أصلها (من) الابتدائية ، و(شيء) اسم جنس بمعنى موجود فنفيه يفيد نفي جميع ما يوجد من الاتصال .

---

[1] – التحرير و التنوير : مج: 4 –ج: 7 –ص: 250.

[2] – المصدر نفسه : مج: 4 –ج 7: –ص: 250 .

[3] –ينظر الكشاف : ج: 2 –ص: 26.

كما ورد اسمها ضميرا مستترا في قوله تعالى : ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام : 122] ، فجملة (ليس بخارج منها) في موقع الحال من الضمير في (مثله) ، أي كظلمات لا يرجى للواقع فيها تنور بنور ما دام في حالة الإشراك، وهو نفي وجود المخرج و المنفذ لمن أضله الله و ختم على قلبه فهو في الضلالة متحير فيها متسكع .

2 – 2– 4 – الجملة الاسمية المنفية بـــ"كون منفي" :

و في هذه الجمل الاسمية سبقت كان بـــ (لم) و(ما) كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : 23] و تجعل هنا كان تامة إن جعل (أن قالو) خبرها و المعنى أي لم تقع فتنتهم إلا أنهم أشركوا ، و قوله تعالى ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ﴾ [الأنعام : 101] و الصاحبة الزوجة و قد جعل انتفاء الزوجة مسلّما للمشركين لأنهم لم يدّعوه ، فلزمهم انتفاء الولد لانتفاء شرط التولد ، و هذا مبني على المحاجة العرفية بناء على ما هو معلوم في حقيقة الولادة ، وهذا الإبطال بمنزلة المعارضة في المناظرة ، و هو مبني على التعليل لمضمون التنزيه في الآيات السابقة.

ومن نفي كان بـــ (لم) قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ [الأنعام : 113] ، و قد ورد هنا اسم كان معرفا ظاهرا للتنبيه على تنزيهه عن الظلم لكونه ربًا .

ومن النفي بـــ (ما) قوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : 23] وقد ورد فيه اسم كان ضمير متصلا وخبرها منصوبا .

وكذلك قوله تعالى : ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161)﴾ [الأنعام : 161] و"جملة (وما كان من المشركين) عطف على الحال من إبراهيم عليه السلام – المضاف إليه ، لأن المضاف هنا كالجزاء من المضاف إليه " [1].

ومن نفي كان بـــ (ما) قوله تعالى :﴿ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ [الأنعام : 111] وهي أشد من (لا يومنون) فأتت كان تقويه لنفي إيمانهم لأن المخبر عنهم مكابرون غير طالبين للحق .

وبهذا أضافت كان لنفي الجملة الاسمية توصيل الحرف الثاني للفعل إلى نفي الجملة الاسمية دون استخدام أدوات نفي الجملة الاسمية تقوية للنفي .

---

[1] – التحرير والتنوير: مج: 5 –ج: 8 –ص: 200.

أما الجملة الاسمية المنفية فقد رأيناها تأخذ أنماط متنوعة وتتفنن في إبلاغ الأمر المنفي حسب السياق وبأفضل ما يمكن أن يُتصور من الأساليب .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3 – الجملة الفعلية المثبتة :

إن الجملة الفعلية هي التي يكون المسند فيها فعلا يسند فيها إلى فاعل إن كان مبنيا للمعلوم ، و إلى نائب فاعل إذا كان مبنيا للمجهول ، و الفعل هو أساس البنية في هذه الجملة ، فهي إذا موضوعة لبيان علاقة الإسناد مع دلالة زمنية على حدث في الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، و تشير إلى تجدد سابق أو حاضر كما تشير إلى استمرار دون تجدد [1].

و الجملة المثبتة هي التي تحتفظ بصيغة (فعل) و(يفعل) بزمنهما الذي أعطاه إياهما النظام الصرفي فيضل (فعل) ماضيا و يضل (يفعل) حالا أو استقبالا بحسب ما يضامّه من الأدوات كالسين و سوف ، ثم بحسب ما يعرض للزمن في هاتين الصيغتين من المعاني التي تفصح عنها اصطلاحات البعد و القرب والانقطاع و الاتصال و التجدد و الانتهاء و الاستمرار و العادة و البساطة و قد أتت على الأنواع التالية :

3 – 2 – أنواعها و دلالاتها البلاغية :

3 – 2 – 1 – الجملة الفعلية ذات الفعل اللازم :

و هي التي يكتفي فيها الفعل بفاعله [2] وقد أتى ذلك في آيات كثيرة غالبها ما كان صلة للموصول مثل قوله تعالى : في الآية الأولى ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ ففعل (كفروا) هو فعل لازم جاء في صيغة الماضي و فاعله ضمير متصل و هو الواو و إن كانت جملة الصلة لا محل لها من الإعراب ، إلا أنها تصور نمطا خاصا من الناس متصفين بالكفر و الذي أصبح خلعة في نفوسهم لا تبرحهم على الرغم من ظهور الحقائق الإلهية على صفحات الكون من حولهم و في أنفسهم و ذلك تعجيبا من أمر هؤلاء ، و لذلك جاء تعريف الكافرين بالموصولية لما يتضمنه الاسم الموصول من معاني الإيماء إلى تقريعهم و توبيخهم .

و الأمر نفسه في قوله تعالى: ﴿ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام : 32] و قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [الأنعام : 36] .

فالمقصود (إنما يستجيب للإيمان الذين يسمعون سماع قبول و إصغاء ، و قال ابن عطية: " هذا من النمط المتقدم في التسلية أي لا تحفل بمن أعرض فإنما يستجيب لداعي الإيمان الذين يفهمون الآيات ويتلقون

---

[1] – ينظر الكليات للكفوي :ج: 2 –ص: 153.

[2] – الأصول لابن السراج: ج: 1 –ص: 81.

الراهين بالقبول فعبر عن ذلك كله (يسمعون) إذ هو طريق العلم بالنبوة و الآيات المعجزة ، و هذه لفظة تستعملها الصوفية إذا بلغت الموعظة من أحد مبلغا شافيا قالوا استمع " [1] .

كما أتى من الفعل الذي حذف مفعوله فعل المشيئة [2] كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام : 35] فأتى الفعل ماضيا و الفاعل لفظا الجلالة ظاهرا مرتفعا، و قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76)﴾ [الأنعام : 76]

و أفل النجم بمعنى غاب ، و قد اقتصر هذا الفعل على فاعل مضمر يعود إلى القمر، واختص التعبير عنه بلفظ (أفل) لأن الأفول خاص بغياب النيرات السماوية ، و هو المغيب الذي يكون بغروب الكواكب وراء الأفق بسبب الدورة اليومية للكرة الأرضية ، و لا يقال أفلت الشمس أو أفل النجم إذا احتجب بالسحاب .

و من الصور التي أتى فيها الفعل اللازم قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾[الأنعام : 59] .

فقد جاء فاعلها مجرورا بـ (من) و الأصل (ما تسقط ورقة) ، فـ(من) زائدة لتوكيد النفي لإفادة العموم ، و جملة (يعلمها) في موضع الحال من (ورقة) الواقعة في حيز النفي المستغنية بالعموم عن الصفة ، و تقدير الجملة أي و ما تسقط من ورقة في حالة إلا حالة يعلمها .

ومما ورد أيضا من الأفعال اللازمة قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ ﴾ [الأنعام : 31] وقوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام : 115] ، وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (48) ﴾ [الأنعام : 48] و غيرها .

3 –2 – 2 – الجملة الفعلية المثبة ذات الفعل المتعدي :

3 –2 – 2- 1 - الفعل المتعدي لمفعول واحد : و تنوعت صوره في الجملة حسب دلالاتها و السياق يقول سيبويه عن الفعل المتعدي : " وذلك قولك : ضرب عبد الله زيدا ، فعبد الله ارتفع هاهنا كما ارتفع في ذهب ، و شغلت ضرب به كما شغلت به ذهب ، فانتصب زيد لأنه مفعول تعدى إليه فعل الفاعل " [3] .

---

[1] – تفسير البحر المحيط : مج: 4 –ج: 7 –ص: 117

[2] – ويحذف المفعول بعد فعل المشيئة بعد لو و بعد حروف الجزاء حذرا من التكرير. البلاغة عند المفسرين ، د:رابح دوب – ص : 389.

[3] – الكتاب: سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1977 –ج: 1-ص: 34 .

وقال الجرجاني: " كما أنك إذا قلت (ضرب زيد) فأسندت الفعل إلى الفاعل ، كان غرضك من ذلك أن تثبت الضرب فعلا له ، لا أن تفيد وجوب الضرب في نفسه و على الإطلاق ، كذلك إذا عدّيت الفعل إلى مفعول فقلت : (ضرب زيدٌ عمرا) كان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثاني ووقوعه عليه ، فقد اجتمع الفاعل و المفعول في أن عمل الفعل فيهما إنما كان من أجل أن يُعلم التباس المعنى الذي اشتق منه بهما ، فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباس الضرب به من جهة وقوعه منه ، و النصب في المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه ، و لم يكن ذلك ليعلم وقوع الضرب في نفسه" [1] ومن صور الأفعال المتعدية لمفعول واحد في السورة قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [الأنعام : 1] .

فخلق هنا قد تعدى لمفعول به واحد ، وفاعله مضمرا يعود على لفظ الجلالة قبله ، و خلق صلة للموصول قبله ، فأفاد التذكير بعظم صفة الخلق الذي عم السماوات و الأرض و ما فيهن من الجواهر والأعراض وذلك أوجز لفظ لاستحضار عظمة قدرة الله .

كما أتى الفعل جعل هنا متعدي لمفعول واحد قال الزمخشري : "وجعل يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث و أنشأ كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ و إلى مفعولين إذا كان بمعنى صيّر كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾ [2] و الفرق بين الخلق و الجعل أن الخلق فيه بمعنى التقدير ، و في الجعل معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء أو تصيير شيء شيئا آخر... " [3].

وقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [الأنعام : 12] .

فقد تعدى الفعل (كتب) إلى الرحمة و الفاعل ضمير يعود إلى لفظ الجلالة و عدّي أيضا ليجمعنكم إلى ضمير المخاطبين الذي هو مفعول به غير أن الفعل فيه أكد بلام القسم ونون التوكيد وفي ذلك دلالة على تحقيق الوعيد ، وعدي بـ (إلى) لتضمنه معنى السوق وضمير الخطاب في قوله (ليجمعنكم) مراد به خصوص المجوبين من المشركين و في ذلك إنذار و تهديد لهم .

---

[1] - دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، تعليق : محمود شاكر، مكتبة الخانجي ، الطبعة الثانية ،القاهرة ، 1989 - ص : 153

[2] - الزخرف : 19.

[3] - الكشاف : الزمخشري : ج:2 -ص: 03 .

ومن الأفعال المتعدية ما كان مفعوله اسما موصولا و ذلك كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام : 68] .

ففي هذه الآية عُدل عن الاتيان بالمفعول مضمرا في قوله : (وإذا رأيت الـذين ..) إلى الإتيـان بالاسم الظاهر وهو الاسم الموصول فلم يقل : (وإذا رأيتهم) أعرض عنهم ، وذلك للدلالة على أن الذين يخوضون في الآيات فريق خاص من القوم الذين كذبوا بالقرآن أو بالعذاب ، وهؤلاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن مجادلتهم وترك مجالسهم حتى يرجعوا عن ذلك ، كما " جاء تعريف هـؤلاء بالموصولية دون (الخائضين) لأن الموصول فيه إيماء إلى وجه الأمر بالإعراض لأنه أمر غريـب ، إذ شـأن الرسول صلى الله عليه وسلم أن يمارس الناس بغرض دعوة الدين فأمر الله إياه بالإعراض عن فريق منهم يحتاج إلى توجيه واستئناس ، وذلك بالتعليل الذي أفاده الموصول وصلته ، أي فأعرض عنهم لأنهم يخوضون في آياتنا " [1] .

وفي قوله تعالى :﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ [الأنعام : 22] ورد الفاعل ضميرا مستترا على الوجوب يعود إلى الله و المفعـول ضميرا متصلا مُبَينا بالحـال (جميعا) ، و الضـمير المنصوب يعود على المشركين و أصنامهم و لذلك جيء بقوله (جميعا) ليدل على قصد الشمول ، و يؤيده قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [2]

كما تقدم المفعول على الفاعل في عدة مواضع منها قولـه تعـالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام : 05] و قدم في هذه الآية المفعول لأنه مضمر في حين أن الفاعل اسم ظاهر و هذا من مسوغات التقديم، و حرف التسويف قبل الفعل هنا لتأكيد حصول ذلـك في المسـتقبل ، كمـا أن استعمال الإتيان هنا في الإصابة و الحصول على سبيل الاستعارة ، و إطلاق النبأ يطلـق علـى تحقيـق مضمون الخبر .

---

[1] - التحرير و التنوير : مج: 4 –ج: 7 –ص: 489

[2] - الفرقان : 17.

و مثله قوله تعالى : ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ [الأنعام : 20] ، و المحاجة هنا مفاعلة من الحجة والاحتجاج وتعني أن قوم إبراهيم حاولوا أن يغلبوه في الحجة و المفاعلة فيه للمبالغة لشدة خصومتهم له و تعنّتهم عليه وعلى الحق و هي من ناحية البنية مثل الآية التي تقدمت عليها .

كما وردت على شاكلة بنية هذه الآيات بنية آيات أخرى تركناها قصد تحصيل الأهم وبحكم مشاركتها لهذه في الدلالات البلاغية العامة .

3 -2 -2 -2 - الجملة الفعلية ذات الفعل المتعدي لمفعولين : وإذ تعدد المفعول فإن كان من باب (ظن) و(أعلم) فمعلوم أن المبتدأ فيهما مقدم على الخبر و الفاعل في باب أعلم مقدم على الاثنين ، و إذا كان في غيره كباب (أعطى) و (أختار) فالأصل تقديم ما هو فاعل معنى في الأول ، و ما يتعدى إليه الفعل بنفسه في الثاني على ما ليس كذلك لأنه أقوى ، فالأصل في أعطيت زيدا درهما ، و اخترت زيدا الرجال تقديم زيد لأنه أخذ الدراهم و مختار من الرجال [1].

و من البنى التي ورد فيها الفعل متعدي إلى مفعولين قوله تعالى :﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام : 75] فـ (أرى) من الأفعال المتعدية إلى مفعولين و فاعلها ضمير مستتر على الوجوب يعود إلى الله سبحانه وتعالى ، و (إبراهيم) مفعول أول و (ملكوت) مفعول ثان فالرؤيا هنا مستعملة للانكشاف و المعرفة و الإراءة فتشمل المبصرات و المعقولات المستدل بجميعها على الحق و هي إرادة إلهام و توفيق ، فابتدئ إبراهيم عليه السلام بالإلهام كما ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا الصادقة .

وقد حصلت هذه الإراءة في الماضي فحكاها القرآن بصيغة المضارع باستحضار تلك الإرادة العجيبة كما في قوله تعالى: ﴿اللهُ الذِي أَرْسَلَ الرِيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ [2] ، كما تكرر فعل الرؤيا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام : 76]

أما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام : 112] فـ (عدوا) مفعول (جعلنا) الأول و الجار و المجرور (لكل نبئ) مفعول (جعلنا) الثاني ، و تقديمه على

[1] - ينظر همع الهوامع للسيوطي :ج: 3 -ص: 16

[2] - فاطر : 9 .

المفعول الأول للاهتمام به لأنه الغرض المقصود من السياق ، إذ المقصود الإعلام بأن هذه سنة الله في أنبيائه كلهم فيحصل التأسي و القدوة و التسلية و على ذلك جاء قول الخنساء :

ولولا كثرة الباكين حولي*** على إخوانهم لقتلت نفسي [1].

...وما يكون مثل أخي ولكن *** أسلي النفس عنه بالتأسي [2].

وفي تقديم المفعول الثاني تنبيها من أول السمع على أنه خبر ، و أنه ليس متعلق بقوله (عدوا) كي لا يخال السامع أن قوله (شياطين الإنس) مفعول لأنه يحول الكلام إلى قصد الإخبار عن الشياطين أو عن تعيين العدو للأنبياء من هو، و ذلك ينافي بلاغة الكلام .

ومن ذلك قوله تعالى ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ [الأنعام : 33] وعلق فيها الفعل (نعلم) عن العمل لوجود اللام في قوله (ليحزنك) ، أفاد دخول (قد) على الفعل المضارع التحقيق مثل دلالتها عند الدخول على الفعل الماضي لا على التقليل ، وهذا الكلام الذي يقوله الكفار والذي يحزن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحقق، فدل هذا على أن (قد) تستعمل للمضارع كما تستعمل مع الماضي ، أما دلالتها على التقليل فبالقرينة و كذلك التقريب ، وهذا ما يجعل القرآن الكريم المصدر الدائم لاستنباط الأحكام النحوية والبلاغية التي قد يغفل عنها الأوّلون .

3 - 2-2-3 - الجملة الفعلية التي تعدى فعلها بالحرف : وهذا النمط كثير في الصورة منه قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ﴾ [الأنعام : 57] فقد عدّي هذا الفعل (كذّب) بالباء و ذلك لتأكيد معنى لسوق الفعل بمفعوله ، كما في قوله تعالى، ﴿ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ ﴾ [3] و الضمير في قوله (به) يعود على البنية في آية الأنعام باعتبار تأويلها بالبيان ، و لذلك دلّ فعل التكذيب إذا عدّي بالباء على معنى الإنكار ، و عليه جرى الاستعمال إذ لا يُعدّون فعل التكذيب بالباء إلا إذا أريد تكذيب حجة أو برهان مما يحسب سبب تصديق فلا يقال كذّبت بفلان بل يقال كذّبت فلانا [4].

و منه أيضا قوله تعالى : ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام : 79] .

---

[1] - ديوان الخنساء ، تحقيق و شرح كرم البستاني ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى 1996 - ص:84.

[2] - المصدر نفسه: - ص : 85.

[3] - المائدة : 06.

[4] - ينظر التحرير و التنوير : مج : 4 -ج :7 -ص: 266 .

فعدي الفعل (وجه) باللام في (للذي) و ذلك لإرادة الانصراف بذلك الشيء ، و خصوصا إذا كان المقصود إرضاؤه في مثل المتوجه له في الآية و هو الله سبحانه ، ولذلك أتت تعديته باللام و مثله تعديته بـ (إلى) ، وأتى بالموصول في قوله (للذي فطر السماوات) ليومئ إلى علة التوجه لعبادة الله .

3-2-3 -4-الجملة الفعلية ذات الفعل المبني للمجهول : في العربية قد يترك الفاعل لغرض لفظي أو معنوي كالعلم به أو للجهل به أو تعظيمه فيصان اسمه عن أن يقترن باسم مفعول أو تحقيره أو خوف منه أو خوف عليه ، أو قصد إبهامه أو إقامة وزن الشعر ، و إصلاح السجع فينوب عنه المفعول به فيما له من رفع و عمدية و وجوب تأخير و امتناع حذف و يترل منزلة الجزء [1] .

و إضافة إلى ما تدل عليه الصيغ الخاصة بالفعل المبني للمجهول فإن لـ " العربية صيغة أخرى هي صيغة الفعل المطاوع ، فيقول القائل (انفتح الباب) ويعبر ذلك عن معنى لا تدل عليه دلالته الدقيقة كل من صيغة المبني للمعلوم و صيغة المبني للمجهول "[2]

ووردت صيغة البناء للمجهول في عدة آيات منها قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام : 27] فقد " قرأ الجمهور وُقِفُوا مبنيا للمفعول و معناه عند الجمهور حُبِسوا على النار " [3] ، و قد ورد هذا الفعل بصيغة البناء للمجهول و ذلك بحذف الفاعل الذي هو الله سبحانه وتعالى تنزيها له عنهم و عما جَرُّوا بسببه أنفسهم إلى النار ، أو حذف الملائكة و إقامة المفعول المضمر مقامها ليدل على أن هؤلاء كانوا هم المتسببين في وقوفهم على النار فأشركهم في الوقف ، أو أن الأمر متحقق و لابد منه حتى أصبح يفعل دون فاعل ظاهر نتيجة لقدرة خاصة من الله سبحانه وتعالى ، و مثله قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام : 30] .

ومما ورد في السورة أيضا قوله تعالى : ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[الأنعام :28] و قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام : 34] و في هذا " تسلية من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم و تعزية له من المساءة عما ناله من تكذيب قومه " [4]، وقد بني كل من (كُذِّبت ، أُوذوا ، كُذِّبوا) للمفعول احتقارا لشأن الفاعلين و إعلاءً لشأن الرسل و تنزيها لهم

[1] - ينظر همع الهوامع للسيوطي : ج:2 -ص: 262 - 263

[2] - أشتات مجتمعات في اللغة و الأدب : عباس محمود العقاد ، دار المعارف مصر 1963 - ص: 63

[3] -تفسير البحر المحيط: مج :4 -ج :7 -ص: 101

[4] - جامع البيان الطبري: مج :5 -ج: 7 -ص: 183

أن تذكر أسماؤهم معهم ، و ذكر نائب الفاعل مع الفاعل و أضمر مع الفعلين الآخرين استغناء عنه بالمرة الأولى كما ألحقت تاء التأنيث بكذبت لأن فاعل الفعل جمع تكسير يُؤوَّل بالجماعة .

و مما ورد مبنيا للمجهول قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [الأنعام : 37] وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : 44] و قوله تعالى : ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ ﴾ [الأنعام : 71] و غيرها .

و هكذا فقد تنوعت الجملة الفعلية المثبتة بما يلائم الغرض في كل آية فتوصلها في أدق عبارة و ألطف معنى .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4 – الجملة الفعلية المنفية :

سبق تعريفنا للجملة الفعلية و قلنا أنها هي الجملة التي تتضمن عملية اسنادية واحدة يشكل الفعل فيها المحور الرئيس باعتباره مسندا ، و المنفية هي ما تقدم الفعل فيها أحد أدوات النفي ينقل مضمون البنية هـــا إلى جهة السلب ، حيث تنفي علاقة الإسناد بين الفعل و فاعله في زمن معين.

يقول سيبويه عن نفي الجملة الفعلية و أدواتها : " إذا قال : فعل فإن نفيه لم (يفعل) و إذا قال قـــد فعل فإن نفيه (لمّا يفعل) ، و إذا قال لقد فعل فإن نفيه (ما فعل) ، و إذا قال هو (يفعل) أي هو في حال لفعل فإن نفيه (ما يفعل) ،و إذا قال هو يفعل و لم يكن الفعل واقعا فنفيه (لا يفعل) ، وإذا قال (لا يفعلن) فنفيه (لا يفعل) ، و إذا قال : سوف يفعل فإن نفيه(لن يفعل) " [1]

و الغالب في الجملة الخبرية المنفية استعمال المضارع للدلالة على المضي لأنه هو الذي يضام أكثـــر أدوات النفي[2].

و من أدوات نفي الفعل التي استعملت في السورة :

لم : و تستعمل لنفي وقوع الفعل في الزمن الماضي المنقطع

لن : و تستعمل لنفي وقوع الفعـــل فـــي الزمـــن المستقبـــل

لا : و هي لنفي الجملة ذات الفعل الماضي و الفعل المضارع ، و ذكر بعضهم أن النفي بـــ (لا) فيه معنى الشمول و العموم [3]

ما: و هي من الأدوات التي تنفي الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي و الفعل المضارع فهي تدخل على فعل و يفعل.

و قد قسمت الجملة الفعلية المنفية إلى أنواع حسب أدوات النفي .

4 –2 – أنواعها و دلالاتها البلاغية :

4 –2 – 1 – الجملة الفعلية المنفية بـــ "لم" :

و قد وردت في الصورة 5 مرات منها قوله تعالى : ﴿ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ [الأنعام : 6] ، و دخلت (لم) فيها على الفعل المضارع الذي فاعله ضميرا مستترا على الوجوب يعـــود إلى الله

---

[1] – الكتاب سيبويه ، عبد السلام هارون ، طبعة 1977 –ج: 2 –ص: 117 .

[2] – اللغة العربية معناها و مبناها : الدكتور تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1989 – ص : 248 .

[3] – ينظر إحياء النحو: إبراهيم مصطفى ، لجنة التأليف و النشر ، القاهرة 1937 – ص : 135 .

و قد خاطب الله به المشركين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم و حكى عن أمر واقع بصيغة المضارع وذلك لما في معنى (لم) من قلب الزمن من المضارع إلى الماضي .

و قوله تعالى ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن﴾ [الأنعام : 82] فدخلت لم على (يلبسوا) غير أن الفاعل هو ضمير الجماعة ، كما نصب الفعل مفعولا ظاهرا و هو (إيمانهم) ، و حقيقة يلبسوا يخلطوا ، و هنا مجاز في العمل بشيئين متشابهين في وقت واحد شبه بخلط الأجسام كما في قوله تعالى: ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ [1] ، و قد روي في تفسير هذه الآية حديث صحيح أورده الطبري في تفسيره بإسناده " عن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية (الذين أمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترون إلى قول لقمان ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [2] " [3] ، وأبعد الزمخشري حينما فسر الآية بقوله : " أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم " [4] إذ الحديث حجة عليه وهذا من نزعات الاعتزال .

ومما ورد فيه النفي بـ (لم) قوله تعالى: ﴿ وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ [الأنعام : 91] .

وفيه منة على اليهود ومن شاكلهم في الجحد بآيات الله والتكذيب بكتبة ورسله ، والآية معطوفة على ما سبقها في قوله تعالى : ﴿ تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ﴾ [الآية 91]وهذا المن هو من باب التذكير لنعمة الله عليهم أنهم لم يسعوا في ذلك هم و آباؤهم ، و إنما أتاهم ذلك نعمة من الله وفضل و قد أشار بالفعل المبني للمجهول إلى عدم صلاحيتهم لقبول ذلك فكأن الأمر قد أجبر عليهم .

كما أتى نفي بـ (لم) في قوله تعالى: ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ﴾ [الأنعام : 93] إذ وقعت جملة و (لم يوح) إليه شيء موقع البيان من قوله أو(قال أوحي إلي) إذ لولاها لشمل الوعيد كل من قال أوحي إلي ، كما تأخر نائب الفاعل بعد الجار و المجرور لإفادة التفاوت فيما أنزل إلى الأنبياء ، و لإفادة أن الذين ادّعوا النبوة لا يصلحون لأدنى شيء من الوحي .

و من ذلك أيضا قوله تعالى :﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ [الأنعام : 110] .

---

[1]- البقرة : 42.

[2] - لقمان : 13 .

[3]-جامع البيان للطبري : مج: 5 -ج :7 -ص: 255.

[4] - الكشاف للزمخشري : ج:2 -ص: 43 .

3 –2 –2 – الجملة الفعلية المنفية بـــ"لن" :

و أتى هذا النوع مرة واحدة في السورة في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴾ [الأنعام : 124] فأتت (لن) ناصبة للفعل المضارع اللازم بعدها و حملتها في محل نصب مقول القول ، و أتى فاعل نؤمن ضميرا مستترا على الوجوب يعود على الواو في (قالوا) ، و روي في سبب نزول هذه الآية أن " أبا جهل قال : زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قـــالوا منا نبي يوحى إليه ، و الله لا نرضى به و لا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه "[1] .

فـــ (لن) هنا أفادت تعنتهم بعدم الإيمان و حسدهم للنبي صلى الله عليه وسلم و كأنهم يحزنـــون النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فعقب الله عليهم بما هم أهل له من ردع ووعيد ، و فيه يظهر ما اعتاده الأكابر من الخصوصية بين الأتباع من صدور للأمر منهم و الطاعة و الاتباع لهم ، وهذا من أسباب تزيين الكفر في نفوسهم و وقوفهم من الرسول موقف العداء[2].

3– 2 – 3 – الجملة الفعلية المنفية بـــ" ما " :

و قد ورد النفي بـــ(ما) 9 مرات في السورة و بأشكال متعددة للفعل و الفاعل من ذلك قولـــه تعالى : ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [الأنعام : 48] .

فوردت بنيتها كالتالي : ما + فعل مضارع + فاعل ضمير مستتر + مفعول به + إلا + حال. وقد " عبر بـــ (نرسل) دون أرسلنا للدلالة على تجدد الإرسال مقارنا لهذين الحالين أي ما أرســـلنا و مـــــا نرســـل و قوله (مبشرين و منذرين) حالان مقدرتان باعتبار المستقبل و محققتان باعتبار الماضي "[3].

و المعنى لم نرسل المرسلين للإعجاب بإظهار خوارق العادة و إنما للبشارة و النذارة ، و يسمى هذا النوع من الأساليب و البني بقصر القلب ، و كني بالتبشير و الإنذار عن التبليغ إذ هما من مستلزماته و هذا من الإيجاز.

كذلك جاء النفي بـــ(ما) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : 91] ، فاحتوت هذه الآية على جملتين الأولى (ما قدروا الله) و بنيتها : ما + فعـــل ماضي + فاعل ضمير متصل + مفعول به .

---

[1] – تفسير البحر المحيط : مج: 4 –ج 8: –ص: 216.

[2] – ينظر في ظلال القرآن : مج: 3 –ج: 8 –ص: 1202.

[3] – التحرير و التنوير: مج : 4 –ج :7 –ص: 238 .

و الثانية (ما أنزل الله على بشر من شيء) و بنيتها : ما + فعل ماضي + فعل ظاهر + شبه جملة حرف جر + فاعل .

و معنى الأولى ما عرفوه حق معرفته و ما علموا بشأنه و تصرفاته حق العلم بها ، أما الثانية فقد نفى فيها المشركون شأنا عظيما من شؤون الله و هو شأن هديه للناس و إبلاغهم مراده بواسطة الرسل و استلزم ذلك نفيهم لصفة من صفات الله تعالى و هو الكلام ، و مقالهم هذا يعم جميع البشر لوقوع النكرة في صياغ النفي ، و يعم جميع ما أنزل الله باقترانه بـ (ما) في حيز النفي للدلالة على استغراق الجنس أيضا، و يعم إنزال الله تعالى الوحي على البشر بنفي المتعلق بهذين العمومين [1].

كما أن هاتين البنيتين يتصل معناهما فهما أيضا مرتبطتان بما قبلهما و ما بعدهما للدلالة على أكثر مما ذكرنا ، و ليس قصدنا عرض البنى المعقدة في هذا المبحث .

و منه أيضا قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [الأنعام : 107] و في البنية الثانية نفي لفعل متعدي لمفعولين الأول متصل و الثاني منفصل .

و من ذلك أيضا قوله تعالى ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[الأنعام : 123] و قوله تعالى ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[الأنعام : 38] و قوله تعالى﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام : 112]

و يمثل هذا التنوع للأفعال و الفاعلين و المفعولات لما دخلت عليه (ما) تنوعت الدلالة ، غير أنه لا يمكن إخراجها في كل مرة بقاعدة معينة إذ هي ترتبط بالسياق العام للآية.

3- 2- 4 - الجملة الفعلية المنفية بـ" لا " :

و قد ورد هذا النوع 38 مرة في السورة ووردت في بنى شتى فدخلت (لا) على الفعل المبني للمعلوم كما دخلت على الفعل المبني للمجهول و منه قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام : 103].

فأعقبت اللام بفعل مضارع متصل بهاء المفعول به ثم ذكر الفاعل متأخرا ، وهي جملة ابتدائية دلّت على عظمة الله تعالى ، فلعظمته جلّ أن يحيط به شيء من أنظار المخلوقين، وفي ذلك تعريض بانتفاء الإلهية عن الأصنام التي هي أجسام محدودة محصورة متميزة، والإدراك حقيقته الوصول إلى المطلوب، ويطلق مجازا على شعور الحاسة بالمحسوس أو العقل بالمعقول.

[1] -ينظر التحرير و التنوير: مج: 4 -ج: 7 -ص: 363.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ [الأنعام :145].

فقد افتتح الكلام المأمور به بأن يقول (لا أجد) إدماجا للرد على المشركين في خلال بيان ما حرم على المسلمين، وهذا الرد جار على طريقة كناية الإيماء، بأن لم ينف ما ادعوا تحريمه صريحا ولكنه يقول لا أجده فيما أوحي إلي.

و يستفاد من ذلك أنه ليس تحريمه من الله في شرعه لأنه لا طريق إلى تحريم شيء مما يتناوله الناس إلا بإعلام من الله تعالى، لأن الله هو الذي يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء على وفق علمه وحكمته، وذلك الإعلام لا يكون إلا بطريق الوحي أو ما يستنبط منه، فإذا كان حكم غير موجود في الوحي ولا في فروعه فهو حكم غير حق، فاستفيد بطلان تحريم ما زعموه بطريقة الإيماء، وهي طريقة استدلاليةلأن فيها نفي الشيء بنفي ملزومه[1]، واستعمل(أجد) على جهة المجاز لأن الأصل في الوجد الظفر بالشيء.

ومنه أيضا قوله تعالى:﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام : 50] .

وقد افتتح الآية هنا بنفي القول للدلالة على أن هذا القول لم يقترن بدعوى الرسالة، فلا وجه لاقتراح تلك الأمور المنفي قولها،واللام في (لكم) لام التبليغ، وهي مفيدة تقويه فعل القول عندما لا تكون حاجة لذكر المواجه بالقول كما هنا، لظهور أن المواجه بالقول هم المكذبون، ولذلك ورد قوله تعالى :(ولا أقول لكم إني ملك) مجردا من لام التبليغ، فإذا كان الغرض ذكر المواجه بالقول فاللام حينئذ تسمى لام تعدية فعل القول، فالذي اقتضى اجتلاب هذه اللام هنا القول بحيث لو قاله قائل لكان جديرا بلام التبليغ[2].

كما أعيد حرف النفي في قوله(لا أعلم) للتنصيص على أن تلك المتعاطفات جميعها مقصودة بالنفي بآحادها لئلا يُتوهم أن المنفي مجموع الأمرين.

ومن نفي الفعل المبني للمجهول قوله تعالى:﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ﴾ [الأنعام : 14].

فـ(هو يطعم) في موضع الحال، وقوله (ولا يطعم) تكميل دال على الغنى المطلق لله تعالى ، كقوله : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[3] والمعنى "وهو يرزق خلقه ولا يُرزَق"[1].

---

[1] - ينظر التحرير والتنوير : مج: 5 –ج: 8 –ص: 137.

[2] - ينظر المصدر نفسه : مج: 4 –ج: 7 –ص: 240 - 241

[3] - الذاريات : 57 .

قال ابن عطية : " وخص الإطعام من أنواع الرزق لمس الحاجة إليه وشهرته واختصاصه بالإنسان " [2] ،وفي الآية تعريض بما كان يقدمه المشركون إلى أصنامهم من القرابين وما يهرقون عليها من الدماء، إذ لا يخلو فعلهم من اعتقاد أن الأصنام تنعم بذلك، وفي مقابل ذلك كان هذا تنزيها لله عن خصائص المخلوقات، وحاجتها الدائمة وفقرها اللازم إلى من سواها.

ومن هنا فقد رأينا ذلك التنوع في الدلالة البلاغية التي تأخذها كل بنية اشتملت على الجملة الخبرية بعضها عام كدلالة الجملة الاسمية على الثبوت ودلالة الجملة الفعلية على التجدد والاستمرار، وبعضها خاص يتجاوز أحيانا أطر التركيب وهي من مميزات هذا الكتاب العزيز، كما لاحظنا اختلاف تواتر كل بنية من البنى المدروسة حيث تضمنت السورة عددا ضخما من الجمل الفعلية المثبتة، وتليها الجمل الاسمية المثبتة أيضا ثم الجمل المنفية الفعلية منها والاسمية، غير أن أهم ما يمكن أن نقوله حول الجملة الخبرية فيها أنها تنحاز إلى جهة واحدة من أساليب تقسيم البنى الخبرية ألا وهو الصدق الذي لا يمكن أن يجادل فيه إلاّ معاند.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] - جامع البيان : مج: 5 –ج: 7 –ص: 159 .

[2] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : للقاضي أبي محمد بن عبد الحق غالب بن عطية الأندلسي (ت 946 هـ) ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1993 : مج: 2 –ج: 7 –ص: 273 .

الفصل الثّالث

بنية الجملة الطلبية ودلالتها البلاغية

1 – جملة الاستفهام(أنماطها ودلالتها البلاغية)

2 – جملة الامر في السورة (أنماطها ودلالتها البلاغية)

3 – جملة النفي في السورة (أنماطها ودلالتها البلاغية)

4 – جملة النداء والدعاء في السورة(أنماطها ودلالتها البلاغية)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بنية الجملة الطلبية:

سبق وأن تناولنا في درس مضى بنية الجملة الخبرية وتعريفها، أما في هذا الفصل سنحاول اكتشاف النوع الثاني من الجمل و بناءها، ويتعلق الأمر بالجمل الطلبية .

يقول ابن فارس:« الطاء واللام والباء أصل واحد ويدل على ابتغاء الشيء، ويقال طلبت الشيء أطلبه طلبا وهذا مطلبي، وهذه طلبتي، وأطلبت فلانا بما ابتغاه أي أسعفته به،وربما قالوا أطلبته إذا أحوجته إلى الطلب، وأطلب الكلأ: تباعد عن الماء حتى طلبه القوم، وهو ماء مطلب»[1] .

وقد تناول البلاغيون الطلب بالبحث والدراسة وذلك في تقسيمه لأنماط الكلام من حيث خبريته وإنشائيته، فالنمط الخبري منه باحتماله للصدق والكذب لذاته...وأضافوا (لذاته) لتدخل فيه الأخبار الواجبة الصدق كأخبار الله وأخبار رسله[2] ، وأمّا الإنشائي منه فهو بعكس ذلك- أي الذي لا يصلح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، وذلك لعدم تحقق مدلوله في الخارج.

وبنية الطلب هي إحدى بنى الجملة العربية الإنشائية، ولا يصح الطلب من غير تصور إذ أنه " يستدعي مطلوبا لا محالة، ويستدعي فيما هو مطلوبه أن لا يكون حاصلا وقت الطلب" [3].

وقسم السكاكي الطلب إلى قسمين :

1- قسم يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول

2- قسم لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول[4].

ونبه إلى أن معاني الطلب الأصلي خمسة معان وهي:الاستفهام، والنداء، والتمني والأمر، والنهي[5].

و " الطلب في الكلام نوعان: طلب بالكلام وطلب بالأداة، والطلب بالكلام هو طلب الفعل نحو صيغة (إفعل) أو(فَعَالِ) نحو (تراك) أو (نزال) ببناء المصدر، والطلب بالأداة نحو أدوات الاستفهام، وأدوات التحضيض و التندم ،وأدوات التمني، وأدوات الترجي، وأدوات النهي، وأدوات الأمر"[6]

ولا يكاد الطلب في السورة يخرج عن هذا إلا فيما يختص بالدلالة البلاغية.

---

[1] -معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى 1990:ج: 4-ص:417 - 418

[2] -ينظر علم المعاني: درويش الجندي ، مطبعة لهضة مصر ، (د. ت) ، ص: 23

[3] - مفتاح العلوم : السكاكي ، ضبط وتعليق : نعيم زورزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1983- ص: 203 .

[4] - ينظر المصدر نفسه: ص : 302 .

[5] - ينظر المصدر نفسه: ص : 146

[6] - في النحو العربي قواعد وتطبيق : مهدي المخزومي ، مطبعة مصطفى البابلي ، مصر ، الطبعة الأولى 1966، ص: 165 – 166.

وتعددت صور الجملة الطلبية بتعدد نوع الجملة ودلالتها، فان كانت البنية تفيد الأمر فالجملة أمرية وإن كانت تفيد النداء أو الاستفهام فهي ندائية أو ا ستفهامية، وإن كانت تفيد النهي أو الدعاء فهي جملة نهي أو دعاء، وقد أتت على الأنماط التالية في سورة الأنعام .

1- جملة الاستفهام :

الاستفهام بنية طلبية تُقدَّمُ صيغته (استفعال) مؤثر على دلالته الوضعية في طلب (الفهم) بأدوات مخصوصة، فيخرج بذلك مثل قولنا (استفهم عن كذا)أو(فهمني كذا) برغم دلالتها على طلب الفهم، لأن الأولى خبرية لا طلبية والثانية أمر لا استفهام [1]

وتتجه الدلالة في الاستفهام من الخارج إلى الذهن، أي من السطح إلى العمق، فالمقصود من قولنا :(هل قام محمد؟) حصول القيام الذي في الخارج إلى ذهن المتكلم، والمستهدف الإنتاجي من الاستفهام إدراك وقوع نسبة أو علاقة بين أمرين في الخارج أو تصور موضوع[2].

ويتعلق الاستفهام إما بالمسند و إما بالإسناد، ويكون بإحدى أدوات الاستفهام وهي الهمزة ، وأم وهل، وأي، وكم، وكيف، وأين، ومتى، و أيان، ومنها ما يختص بطلب التصديق ومنها ما هو لطلب التصور دون التصديق ومنها ما هو مشترك بينما .

ويشكل جملة الاستفهام غالبا-قسمان هما:جملة الاستفهام وجملة الجواب، هذا إن كان الاستفهام حقيقيا، أما إن خرج عن معنى الاستفهام إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام:كالتعجب مثلا، أو التقرير، أو التمني،أو الإنكار، أو التوبيخ...فإنه لا يحتاج إلى جملة الجواب [3].

1-2-أغاطها ودلالتها البلاغية :

وفي سورة الأنعام تعددت معاني الاستفهام بتعدد الأدوات والسياقات، وقد خرج الاستفهام في معظمها عن أصله إلى دلالات بلاغية أخرى، وسنورد أهم البنى معتمدين في تصنيفها على الأداة:

1-2-1— الاستفهام بالهمزة :

شكل الاستفهام بالهمزة أنماطا مختلفة وورد في السورة 18 مرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ [الأنعام :06]، فأتت بنية الآية كالآتي: الهمزة+ لم+فعل ماض+فاعل(ضمير متصل)

---

[1]- البلاغة العربية قراءة أخرى : الدكتور محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، 1997 ، ص : 284-285 .

[2]- ينظر المرجع نفسه : ص: 66 .

[3]- ينظر علوم البلاغة : مصطفى المراغي ، ص : 66

+مفعول به(كم)+متعلقات، وهذه الجملة بيان لجملة قبلها وهي ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام :05] وذلك على طريقة الاستفهام الإنكاري ، عن عدم رؤية القرون الكثيرة الذين أهلكتهم حوادث خارقة، ولذا حذف جواب الاستفهام هنا، وكم هنا خبرية.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام : 14] ، وأتت بنية الاستفهام مؤلفة من: الهمزة + مفعول به مقدم+فعل +فاعل +مفعول به، وقد خرج الاستفهام هنا أيضا عن معناه الأصلي إلى الإنكار، وقُدّم المفعول الأول ل (اتخذ) على الفعل وفاعله ليكون مواليا لهمزة الاستفهام، لأنه هو المقصود بالإنكار لا مطلق اتخاذ الولي، وشأن همزة الاستفهام أن يليها جزء الجملة المستفهم عنه.

قال الزمخشري: " أولى غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليا، لا في اتخاذ الولي فكان أولى بالتقديم "[1] ، كما يستعمل التقديم جوابا للإنكار وذلك من النكت البلاغية أيضا.

ومثل هذه البنية أتى قوله تعالى﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾[الأنعام : 164]وقوله : ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام :114] ،غير أن الفاء هنا مستعملة لتفريغ الجواب من مجموع أقوال المشركين ومقترحاتهم.

ومن تقديم المفعول الواحد على الفعل بعد الاستفهام بالهمزة قوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام : 40] ، وقوله تعالى أيضا : ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾[الأنعام : 144] ، وفي كل هذه الآيات يدور الاستفهام بين الإنكار والتقرير والتوبيخ أحيانا، ويفيد القصر أحيانا أخرى.

ومن الأنماط الواردة في الاستفهام بالهمزة وقوع الفعل بعد الهمزة قوله تعالى:﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام :40] .

فتضمنت البنية همزة الاستفهام متبعة بفعل ماض أتى فاعله ضميرا متصلا وكذلك المفعول في بنية نادرة مضافة إليها جملة شرط، فقوله تعالى : " (أرأيتكم) تركيب شهير الاستعمال يفتتح بمثله الكلام الذي يراد تحقيقه والاهتمام به، وهمزة الاستفهام فيه للاستفهام التقريري"[2].

و(رأى) هنا بمعنى الظن يسند إلى تاء الخطاب تلازم حالة واحدة، وهي ملازمة حركة واحدة هي الفتحة لا تختلف باختلاف عدد المخاطب وصنفه سواء كان مفردا أو غيره.

---

[1] - الكشاف : الزمخشري ، ج:2-ص:09 .

[2] -التحرير والتنوير : مج: 4 -ج: 7 -ص: 221 .

ويجعل المفعول الأول في هذا التركيب غالبا ضمير خطاب عائد إلى فاعل الرؤية القلبية، ومستغنى به البيان المراد بناء الخطاب،فالمخاطب فاعل ومفعول الاعتبار، وبعض النحاة يجعل تلك الجملة سادّة مسدّ المفعولين، وضمائر الخطاب مجرد علامات لا محل لها من الإعراب، وذلك حفاظا على قواعد النحو في الاستعمال المتعارف .

ومن خصائص أفعال باب الظن أن يكون فاعلها ومفعولها واحدا، أما إذا أريد جريان فعل الرؤية العلمية على أصل بابه فإنه يجري على المتعارف في تعدية الفعل إلى فاعله ومفعوليه [1]،ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾[الأنعام : 46]، و قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام : 47].

وقد جيء في هذا ونظيره بكاف الخطاب مع ضمير الخطاب دون قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ [الأنعام : 46]، لأن هذا ونظيره أبلغ في التوبيخ لأنهما أظهر في الاستدلال على كون المشركين في مكنة قدرة الله، فاجتلب كاف الخطاب ليقصد منه التنبيه، ويلاحظ في بعض هذه الآيات أن استفهاما آخر موجودا فيها بغير الهمزة أجلنا الكلام عليه إلى حين تناول الاستفهام بتلك الأدوات المستعملة.

ومن الأنماط الواردة في الاستفهام بالهمزة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام :71].

وتتكون بنية هذه الجملة من همزة الاستفهام يليها فعل مضارع ثم فاعل مضمر وشبه جملة ثم المفعول به، و" هذا استفهام بمعنى الإنكار، أي لا يقع شيء من هذا "2 ، كما تضمن أيضا تأييس المشركين لأن المأمور بالقول هنا الرسول ﷺ وأصحابه من المسلمين، ولذلك جاء الفعل بنون التكلم.

ومنه قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ غير أن بنيتها جاءت بالشكل البسيط المتعارف وهو: همزة استفهام+فعل+فاعل مضمر+مفعول به+حال .

وفي هذا الاستفهام إنكار وتوبيخ من إبراهيم لأبيه، والظاهر أنه قاله له عندما أظهر أبوه تصلبا في الشرك، فتطلب الأمر من إبراهيم المحاجة بنوع من الغلظة ومحل الإنكار في الاستفهام هو المفعول (أصناما)

[1] - ينظر التحرير والتنوير : مج :4 -ج :7 -ص: 221-222 .

[2] -تفسير البحر المحيط : مج: 4 -ج 7: -ص: 156.

أي جعل الصور آلهة، كما أنكر عليه تعدد الآلهة، وذلك بدلالة كلمة (أصنام) على الجمع إذ لم يقل(أتتخذ الصنم آلهة).

ومن هذا النمط قوله تعالى: ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾[الأنعام :80].

ولها نفس البنية السابقة غير أن المفعول أتى ضميرا متصلا، وجاء الحال جملة مفصولا بشبه الجملة والاستفهام هنا إنكار من إبراهيم على قومه، وتأييس لهم من رجوعه إلى اعتقادهم.

وهناك نمط آخر استعملت معه همزة الاستفهام وهو الفعل المنفي وذلك كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ [الأنعام :130] .

وفي بنية هذا الاستفهام تقدم المفعول به على الفاعل، والاستفهام هنا تقريري، و" إنما جعل السؤال عن نفي إتيان الرسل إليهم لأن المقرر إذا كان حاله في ملابسة المقرر عليه حال من يظن به أن يجيب بالنفي يؤتى بتقريره داخلا على نفي الأمر المراد إقراره بإثباته، حتى إذا أقر بإثباته كان إقراره أقطع لعذره في المؤاخذة به ، كما يقال للجاني :ألست الفاعل كذا وكذا و ألست القائل كذا، ولما كان حال هؤلاء الجن و الإنس حال من لم يطرق سمعه أمر بمعروف ونهي عن منكر جيء في تقريرهم بصيغة الاستفهام عن نفي مجيء الرسل حتى إذا لم يجدوا للإنكار مساغا كان ذلك أحرى لأخذهم بالعقاب" [1].

وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾[الأنعام :06] ، التي سبق الكلام فيها ، ولكننا هنا حاولنا ذكر تنبيهات بعض المفسرين لإتيان النفي بعد الاستفهام بالهمزة.

وقريب من هذا النمط قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾[الأنعام :30]، إلا أن الفعل فيها أتى ناسخا داخلا على جملة اسمية بعد همزة الاستفهام ، والاستفهام تقريري دخل على نفي الأمر المقرر به لاختبار مدى إقرار المسؤول، فلذلك سُئِلَ عن نفي ما هو واقع لأن ما كان له مطمع في الإنكار تذرع إليه بالنفي الواقع في سؤال المقرر والمقصود (أهذا حق) ، والإشارة إلى البعث الذي عاينوه وشاهدوه ، و لذلك أجيب بـ (بلى) لإبطال النفي ولإقرار بوقوع المُنى .

[1]- التحرير والتنوير : مج: 5 –ج: 8 –ص: 75

و لذا قال الزمخشري عن قوله تعالى : (أليس هذا بالحق) "هذا تعيين من الله تعالى لهم على التكذيب ، وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث و الجزاء ما هو بحق و ما هوإلا باطل" [1] ، ومثله قوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ(53)﴾ [الأنعام : 53] .

كما ورد الاستفهام بالهمزة مدخولا على الجملة الاسمية في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ(53) ﴾ [الأنعام : 53].

فـ " قوله (أهؤلاء) الهمزة للاستفهام و معناه الإنكار، و (هؤلاء) في موضع رفع بالابتداء و(من الله عليهم) الخبر " [2] ، و محل الجملة كاملا إما النصب لكونه معمول القول أو معمول محذوف دل عليه(منّ) ، أي أخصّ هؤلاء ، لأنه إذا منّ عليهم بالشيء فقد خصهم به ، واسم الإشارة هنا مستعمل في التحقير و التعجيب ، و قد أفاد تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي تقوية الخبر.

و من دخول همزة الاستفهام على الجملة المنسوخة بـ(إنّ) قوله تعالى : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(19) ﴾ [الأنعام:19] .

فالاستفهام " تقرير لهم مع استنكار واستبعاد " [3] واستئناف الاستفهام على طريقة الإنكار استقصاء للمشركين في الإبعاد ،و أكّد الخبر المستفهم عنه بـ(إنّ) و(لام الابتداء) ليفيد أن شهادتهم هذه مما لا يكاد يصدقه السامعون أنهم يشهدونها لاستبعاد صدورها من عقلاء، و ذلك احتيج في الإخبار عنهم إلى تأكيد الخبر بمؤكدين، وقد أفادت هذه البنية إنكارين: أحدهما صريح بأداة الإنكار، و الآخر كنائي بلازم تأكيد الإخبار لغرابة هذا الزعم .

و يمكننا تلخيص الدلالات البلاغية للاستفهام بالهمزة في السورة كما يلي :

1-الإنكـــــار : 13 مرة

2- التعجيب : مرتين

3- التقرير : 7 مرات

4- التأييس : مرتين

---

[1] - الكشاف :ج: 2-ص:16 .

[2] - الفريد في إعراب القرآن المجيد: ج: 2-ص:154.

[3] - الكشاف:ج: 2-ص:11.

5- التوبيخ : مرتين

و بهذا يكون قد خرج الاستفهام بالهمزة في معظم أحواله عن حقيقته إلى دلالات بلاغية.

1-2-2- الاستفهام بـــ (هل) :

هل حرف موضوع لطلب التصديق الإيجابي دون التصور، تدخل على الاسم مثل قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [1] ، كما تدخل على الفعل مثل قوله تعالى :﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ ﴾ [2] .

و المقصود بالتصديق الإيجابي الاستفهام عن نسبة معينة مثبتة كانت أومنفية، و يكون الجواب بـــ (نعم) أو (لا)، أما التصور فهو إدراك المفرد و جوابه يكون بتعيين أحد الأمرين المستفهم عنهما فتقول : (هل زيدُ قدم أم عمرو)، فالجواب زيد هو الذي قد قدم ،كما لا يقصد بها التصديق السلبي الذي يكون جوابه النفي [3] .

و قد ورد الاستفهام بها في السورة أربع مرات: من ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ (47) ﴾ [الأنعام: 47] .

فـــ(هل) حرف استفهام تلاها فعل مضارع مبني للمجهول ثم حرف استثناء ملغى و نائب فاعـــل و الاستفهام هنا مستعمل في الإنكار لذا جاء بعده الاستثناء.

و منه قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158) ﴾ [الأنعـــام : 158] .

فجاء فعل مضارع بعد حرف الاستفهام ثم فاعله ثم حرف الاستثناء ثم جملة المفعول به ، وقد جاء الاستفهام للوعيد و الإنكار، كما هو مستعمل للتهكم من المشركين الذين لا ينتظرون آيات الله، فهـــم

---

[1] - هود : 14 .

[2] - ص : 21 .

[3] - ينظر المعجم المفصل في النحو العربي : د عزيزة فوال بابتي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى 1992 -ج: 2-ص: 1145 .

جازمون بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم ، و جاء سؤالهم عن الآيات إفحاما للنبي صلى الله عليه وسلم في ظنهم ، و لا ينتظرون حسابا و لا يوم حشر .

و منه قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ(50) ﴾ [الأنعام: 50] .

ففي هذا الاستفهام تمثيل للضال و المهتدي و هو على سبيل الإنكار و التذكير، ليدل على فساد الوضع لأدلة المشركين و عقم أقيستهم و صلاح حال المؤمنين واعتقادهم.

و في قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ(148) ﴾ [الأنعام: 148] .

فجاء عقب حرف الاستفهام شبه جملة ثم مبتدأ مؤخر ثم جملة فعلية ، وجعل الاستفهام بـ (هل) لأنها تدل على طلب تحقيق الإسناد المسؤول عنه، لأن أصل(هل)أنها حرف بمعنى (قد) لاختصاصها بالأفعال، فدل بـ (هل) على أنه سائل عن أمر يريد أن يكون محققا كأنه يرغب في حصوله فيغريهم بإظهاره حتى إذا عجزوا كان قطعا لدعواهم، و المقصود من هذا الاستفهام التهكم بالمشركين في قولهم : (لو شاء الله ما أشركنا – إلى – ما حرّمنا) فأظهر لهم من القول ما يظهره المعجب بكلامهم ، و قرينة التهكم بادية لأنه لا يظن بالرسول عليه الصلاة و السلام و المؤمنين أن يطلبوا العلم من المشركين ، فكيف و هو يصارحهم بالتجهيل و التضليل صباح مساء [1] .

و لهذا فقد جاء الاستفهام بـ(هل) ثلاث مرات للإنكار ، و مرة للتهكم ، و كلها دلائل بلاغية أخذت من السياق و البنية معا .

1-2-3-الاستفهام بـ (من) :

(من) هي اسم استفهام يكون دائما مبينا على السكون، و له محل من الإعراب حسب موقعه من الكلام [2] ، وورد الاستفهام بها في سورة الأنعام ست مرات في بنى متعددة منها:

---

[1] – ينظر التحرير و التنوير : مج: 5 –ج: 8 –ص: 149 – 150.

[2] – المعجم المفصل في النحو العربي :ج: 2–ص:1059.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(12) ﴾ [الأنعام: 12] .

فـــ(من) هنا اسم استفهام في محل جر بحرف الجر و (ما) اسم موصول مبتدأ مؤخر، و في الآية أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بسؤال المشركين عن مالك السماوات و الأرض و ما فـــيهن، و لا يلـــزمهم سوى الإقرار بذلك لله تعالى لما تقدم هذه الآية من تصرف الله تعالى في القرون السابقة وملكها ، " وهذا الســـؤال سؤال تبكيت و تقرير " [1]،لأن المقصود إلجاء المشركين إلى الإقرار مما يفضي إلى إبطال معتقدهم الشركي فهو مستعمل في معناه الكنائي مع معناه الصريح ، و مثله قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ(63) ﴾ [الأنعام: 63] .

و قوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ(91) ﴾ [الأنعام: 91] .

فكلها استفهامات تقرير و إلجاء مع إتيان (من) في موضع رفع بالابتداء و خبرها الجملة الفعليـــة بعدها في كلتا الآيتين.

أما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ(46) ﴾ [الأنعام: 46] .

فقد حمل الاستفهام الدلالة نفسها و قصد به إلجاء السامعين إلى النظر في جوابه، فيوقنوا أن لا إلـــه غير الله يأتيهم بذلك لأنه الخالق للسمع و الأبصار و العقول، غير أنه في هذه المرة جاء الخبر اسما و هـــو (إله)، و(من)قبله في موضع رفع بالابتداء، و(غير الله) صفةلـــ(إله)، و(يأتيكم به) جملة في محل الصفة أيضا والمستفهم عنه هو (إلـــه) و الكلام جار مجرى التهديـــد و التخويف ، واختير في الآية قبلـــه انتـــزاع سمعهم و أبصارهم و سلب الإدراك عن قلوبهم جزاء لأنهم لم يشكروا نعمة هذه المواهب بل عدموا الانتفاع بها.

[1] - تفسير البحر المحيط: مج: 4 –ج: 7 –ص: 81 .

و مثله قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(21) ﴾ [الأنعام :21].

فالاستفهام لتهديد الكاذبين على الله والمفترين عليه، وقد تضمنت بنية الآية مبتدأ و هو (من) و خبر ثم شبه جملة .

1-2-4- الاستفهام ببقية أسماء الاستفهام :

تعددت أنماط الاستفهام في السورة بتعدد أسماء الاستفهام منها:

الاستفهام بـــ (أي) في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ [الأنعام :19].

فـــ (أي) تفيد الاستفهام عن العاقل، و "هي معربة مع إبهامها و إنما كان ذلك لأنها تلزم الإضافة، و لأنها تتضمن علم جزء من المستفهم عنه غير معين، لأنك إذا قلت : أي الرجلين جاءنا ، فقد كنت تعلم أن أحدهم جاء غير معين، فأخرجها هذان الوجهان عن غمرة الإبهام فأعربت، و تتضمن هذه الآية أن اله عز و جل يقال عنه (شيء) كما يقال عنه (موجود)، و لكن ليس كمثله تبارك و تعالى شيء... وقد استفهم على جهة التوقيف و التقدير ثم بادر إلى الجواب إذ لا تتصور فيه مدافعة"[1].

و مثله قوله تعالى : ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(81) ﴾ [الأنعام : 81] .

فـــ (أي) مبتدأ و (الفريقين) مضاف إليه و (أحق) خبر المبتدأ، و"الفاء في قوله (فأي) تفريع على الإنكار و التعجيب فرع عليهما استفهاما ملجئا إلى الإعتراف بأنهم أولى بالخوف من إبراهيم من آلهتهم و الاستفهام بـــ(أي)" للتقرير بأن فريقه هو وحده أحق بالأمن"[2]، فجاء الاستفهام في كلتا الآيتين للتقرير .

واختص استعمال (كيف) في الاستفهام في السورة للدلالة على الحال، و منها قوله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴾ [الأنعام : 81].

فـــأفادت كيف للاستفهام الإنكاري و التعجيب وبيان حال إبراهيم العابد لله ، و حال من أشركوا به غيره فلم يخافوا الله و هو ربهم ورب آلهتهم التي لا تملك لنفسها ضرا و لا نفعا.

---

[1] - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت 546 هـ) ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان، الطبعة الأولى 1993 - مج: 2 -ج: 7 -ص: 275.

[2] - التحرير و التنوير: مج: 4 -ج: 7 -ص: 331 .

- مثله قوله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11) ﴾ [الأنعام : 11].

و هي هنا أقرب إلى الخبر إذا هي في محل نصب خبر كان مقدم عليها، وعاقبة اسم (كان)، و قد وردت أربع مرات في السورة في حين وردت(أي) مرتين فقط.

و من أسماء الاستفهام التي وظفها الخطاب القرآني في السورة (أين)، و ذلك في قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (22) ﴾ [الأنعام : 22].

وهي اسم استفهام ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم و(شركاؤكم) مبتدأ مؤخر،و الاسم الموصول في محل رفع صفة لـــ(شركاء) ،و في السؤال بها سؤال عن المكان الذي يحل فيه المسند إليه ، و قد يسأل بها عن الشيء الذي لا مكان له فيراد لاستفهام عن سبب عدمه، فالسؤال بـــ(أين) هنا عن الشركاء المزعومين وهم حاضرون كما دل عليه قوله تعالى : ﴿أُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾[1] فالاستفهام هنا توبيخي لما كان المشركون يزعمونه من شفاعة آلهتهم لهم عند الله، أو نصرها إياهم عند الحاجة، فلما رأوها لا تغني شيئا قيل لهم أين شركاؤكم ، و أضيف الشركاء إلى خبر المخاطَبين إضافة اختصاص لأنهم الذين زعموا لهم الشركة مع الله في الإلهية، و قد ورد بها الاستفهام مرة واحدة.

أما الاستفهام بـــ (ما) فجاء مرتين :

الأول في قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (109) ﴾ [الأنعام : 109] .

أي" (و ما يدريكم أنها) أي الآية التي تقترحونها (إذ جاءت لا يؤمنون بها) يعني أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها، و أنتم لا تدرون بذلك"[2] على سبيل التذكير للمؤمنين بعناد الكفار .

الثانية في قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام : 119] .

---

[1] - الصافات: 22.

[2] - الكشاف: ج: 2-ص: 57.

فـــ (ما) مبتدأ و شبه الجملة بعدها متعلق بخبرها ، و الاستفهام هنا مستعمل في معنى النفي، أي لا يثبت لكم عدم الأكل مما ذكر اسم الله عليه أي كلوا مما ذكر اســـم الله عليـــه ، و الـــلام في لكـــم للاختصاص.

و بهذا نكون قد أتينا على معظم بُنى الاستفهام في السورة، و التي تعددت أدواتها و كان غالـــب الاستفهام فيها بالهمزة لمرونتها في الدخول على الأسماء و الأفعال، و قد خرج الاستفهام في معظم البنى إلى دلالات أخرى: كالإنكار على المشركين و التوبيخ لهم و التعجيب من شأنهم، و ذلك كله من خصـــائص القرآن المكي الذي ظلّ يقابل عناد المشركـــين و كفرهم و تكذيبهم ، كما استعمل الاستفهام في التقريـــر و الإلجاء و ذلك بسد الأبواب في كل ما يحتجون به و بيان قصورهم و ضآلة فكرهم و ضيقه، و فســـاد نفوسهم، فكان هذا التنوع في الأساليب و في البنى و في الدلالات .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- جملة الأمر في السورة :

الأمر أسلوب لغوي يطلب به الآمر من المأمور فهل شيء أو هو" طلب حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل"[1] ،و هو في مجمله صادر ممن هو أعلى إلى من هو أقل منه، و أخرجوا في تعريفه بطلب الفعل النهي، لأنه ينتج ترك الفعل لاطلبه، كما أخرجوا الدعاء و الالتماس لكون المأمور فيهما أعلى مرتبة من الآمر،"و الأمر عند العرب ما إذا لم يفعل المأمور به سمي عاصيا" [2] .

و عناية البلاغيين ببنية الأمر لا تقتصر على كونها بنية إنشائية طلبية، و إنما تتجاوزه إلى كونها بنية توليدية كغيرها من بنى الإنشاء ، لأنها لا تعرف الالتزام (بأصل المعنى) بل تحاول أن تنتج ما لم تتعود اللغة إنتاجه، و هذا المنتج يعتمد على تحول موضعي يخرج البنية عن (أصل المعنى) ، و يتيح لها إنتاج الكثير مما ليس من مهمتها الأصلية إنتاجه، كالإباحة و التعجيز ، و الإهانة، و التسوية، و التهديد و التمني [3].

و للأمر في العربية صيغ مختلفة هي :

1 - فعل الأمر : كقوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [4].

2- المضارع المقترن بلام الأمر كقوله تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾ [5].

3- اسم فعل الأمر كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [6].

4- المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [7].

5- الفعل المضارع المقصود به الإنشاء كقوله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [8].

6- الجملة الاسمية المقصودة بها الإنشاء كقولك :(الغسل واجب عليك) .

---

[1] - مع الهوامع:ج: 1 -ص:7 .

[2] - الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها : أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق و تقديم :مصطفى التومي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1964 - ص: 179.

[3] - ينظر البلاغة العربية قراءة أخرى – د محمد عبد المطلب ،ص: 292 – 295.

[4] - البقرة: 43 .

[5] - الطلاق : 7.

[6] - المائدة :107.

[7] - البقرة : 83.

[8] - الواقعة :79.

و زمان الأمر المستقبل في أغلب الأحوال لأنه لا يؤمر إلا بما سيقع حصوله في المستقبل القريب أو البعيد

2-2-أنماطها و دلالاتها البلاغية :

بلغ عدد الآيات الذي ورد فيها الأمر في السورة 55 آية، كما بلغ عدد جمل الأمر 82 جملة ،و قد حاولت توزيع أنماطها حسب صيغة الأمر فكانت كالآتي :

2-2-1- الأمر بالصيغة :

و قد جاء وفق أنواع متعددة منها:

1-أمر موجه إلى النبي ﷺ واختص الأمر بالقول للنبي ﷺ بغالبية بنى الأمر فورد أكثر من 42 مرة ، و هي في مجملها أسئلة و أجوبة يراد بها الاقناع في الحجة، و الإنكار على المشركين .

و أول آية في السورة ورد فيها الأمر بالقول قوله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ(11) ﴾ [الأنعام : 11] .

و قد أتبع فيها الأمر بالقول بأمر آخر موجه لجميع المخاطبين رغبة في العظة و التفكير، و ذلك على وجه الاستحباب لمعرفة آيات الكونية .

و من ذلك قوله تعالى أيضا : ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(12) ﴾ [الأنعام : 12] .

و قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(14) ﴾ [الأنعام : 14] .

و قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(15) ﴾ [الأنعام : 15] .

و قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(19) ﴾ [الأنعام :19].

و قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(37) ﴾ [الأنعام : 37] .

و قد أتى في معظم هذه الآيات و غيره بعد فعل الأمر بالقول إما أمرٌ و إما استفهامٌ و إما خبرٌ منفيٌ أو مؤكدٌ ، فتارة يدل ذلك على التهديد، أو الاهتمام بما يؤمر به ، و اختص معظم الأمر بالقول في السورة بأن يقوله الرسول ﷺ للناس .

و أحيانا يرد الأمر بالقول مورد المحاورة للمشركين ضمن سلسلة أسئلة و أجوبة على مقالاتهم و التي مصدرها تصميمهم على الشرك و التكذيب بالرسالة، إذ كانت منطوية على شُبَه كثيرة أريدَ ردها و تفنيدها فكانت هذه الردود كلها مفتتحة بكلمة (قل) حتى لا تبقى حجة لمعترض أو مجادل مستنكف عن الحق بعد بيانه .

كما ورد الأمر للمفرد بغير صيغة (قل) موجها إلى النبي ﷺ بشكل خاص، و ربما اكتسب صفة العموم بتوجيهه إلى كل قارئ و سامع حسب السياق، من ذلك قوله تعالى : ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ(24)﴾ [الأنعام : 24].

و قد جعل حال المتحدث عنهم بمنزلة المشاهد لصدوره ممن لا خلاف في أخباره، فلذلك أمر سامع القرآن أو الرسول ﷺ بما يدل على النظر إليه كأنه مشاهد حاضر[1] ، و (كيف) هنا لمجرد الحال غير دال على الاستفهام.

و مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ(65)﴾ [الأنعام : 65].

ففي الأمر بالنظر هنا تنزيل المعقول منزلة المحسوس لقصد التعجيب منه.

و عليه جاء قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ(46)﴾ [الأنعام : 46] .

وعلى مثله جاء قوله تعالى : ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ(70)﴾ [الأنعام : 70].

[1] - ينظر التحرير و التنوير: مج: 4 –ج: 7 –ص: 177.

فـــ (ذر) فعل ماض قيل أنه لم يرد له ماض و لا مصدر و لا اســـم فـــاعل و لا اســـم مفعول و ذلك لأنهم استغنوا عنها بأمثالها من مادة (ترك) تجنبا للثقل، واستعمل مضارعه والأمر منه خاصة، وقدروا محذوف ماضيه بـــ(واو) هي فاء الفعل لأنه جرى مجرى وعد يعد، و ورث يرث .

و في الأمر بالترك وعدم المخالطة مجاز في عدم الاهتمام بالمشركين و قلة الاكتراث باستهزائهم .

ومن الآيات التي جاء فيها الأمر بالصيغة موجه للفرد : قولـــه تعـــالى : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (51) ﴾ [الأنعام : 51]، والأمر هنا للرسول ﷺ.

و قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (68) ﴾ [الأنعـــام : 68] ، و الأمـــر موجـــه للرسول ﷺ و أفراد المؤمنين.

و قوله تعالى : ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (106) ﴾ [الأنعام : 106].

و قد ورد الأمر بالصيغة موجها إلى المفرد بدون صيغة فعل القول 15 مرة، قصد بها أحيانا الـــنبي ﷺ و حده، و أحيانا أخرى أفراد المؤمنين ، أو شملهما معا، و كانت الدلالة في مجملها على الوجوب .

2 – الأمر الموجه للجماعة :

ورد هذا النمط من الأمر 16 مرة تعددت فيه الدلالة بتعدد أنواع المخاطبين، منها قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (72) ﴾ [الأنعام : 72].

و في هذه الآية خطاب من الله تعالى للمؤمنين بإقامة الصلاة و ملازمة مخافته و تقواه و قـــد خصـــت الصلاة بالذكر في هذه الآية للاهتمام بها إذ هي عمود الدين، كما دخلت (أن) المصدرية في هذه الآيـــة على (فعل الأمر) فأفاد المصدرية و الأمر في آن واحد ، و الأمر هنا للوجوب .

و من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (118) ﴾ [الأنعـــام : 118].

و الأمر في قوله (فكلوا) للإباحة، إذ لا يمكن أن يتصور أن ما ذكر اسم الله عليه يحرم أكله سواء كان ذلك عند المسلمين أو المشركين، و قصد بالإباحة هنا تمييز الأكل الحلال عن الحرام كالميتة و ما ذبح على النصب، و الخطاب موجه للمسلمين.

و قد أفاد تعليق فعل الإباحة بما ذكر اسم الله عليه النهي عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه ، لأن ترك ذكر اسم الله يكون لقصد تجنب ذكره خصوصا في بيئة الإشراك، كما أفاد النهي عن أكل ما ذكر غير اسم الله عليه ، و هذا من الدلالة البلاغية المستفادة من بنية الآية و إن دق مسربها على الكثير .

و من الدلالات البلاغية التي تضمنتها بنية الأمر الإنذار و التهديد في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(135) ﴾ [الأنعام : 135].

و قد اقترن ذلك عدة عوامل منها سبق الأمر بأمر بفعل القول، و نداء القوم بنسبتهم إليه اشفاقا عليهم وحالهم بعكس ذلك، ثم التذييل الذي اتبع الآية و الذي يحيل إلى الظلم في أعمالهم، و مباينة أعمالهم لأعمال الرسول ﷺ، و العاقبة الحسنى التي يظفر بها صاحب أحد العملين لا كليهما، فهذا إملاء لهم في الضلالة يشعر في متعارف الخطاب بأن المأمور به مما يزيد المأمور استحقاقا للعقوبة .

و من ذلك أيضا قوله تعالى :﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(141) ﴾ [الأنعام :141].

قال أبو حيان: "لما كان مجيء تلك الآية [الآية 99] في معرض الاستدلال بها على الصانع و قدرته و الحشر و إعادة الأرواح إلى الأجساد بعد العدم و إبراز الجسد و تكوينه من العظيم الرميم و هو عجب الذنب قال: ﴿ انظر إلى ثمره إذا أثمر و ينعه﴾ إشارة إلى الإيجاد أو إلى غايته، و هنا لما كان معرض الغاية الامتنان وإظهار الإحسان بما خلق لنا قال :﴿ كلوا من ثمره﴾ فحصل بمجموعها الحياة الأبدية و السرمدية و الحياة الدنيوية السريعة الانقضاء، و تقدم النظر و هو الفكر على الأكل لهذا السبب، و هذا أمر بإباحة الأكل"[1] .

كما أفاد الأمر هنا التعريض بتسفيه أحلام المشركين لتحريمهم على أنفسهم ما من الله به عليهم .

[1] - تفسير البحر المحيط: مج: 4 –ج: 8 –ص: 236-237.

و مثله قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (142) ﴾ [الأنعام : 142].

ومما جاء فيه الأمر بصفة الجمع ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) ﴾ [الأنعام : 152].

و هذا الأمر جامع لكل المعاملات بين الناس بواسطة الكلام ، و قد جاء طلب الحق في القول بصيغة الأمر بالعدل دون النهي عن الظلم لأنه قيده بأداة الشرط المقتضي لصدور القول ، والأمر بأن يكون حقا أوفى لأن الله يحب إظهار الحق بالقول و نهي عن السكون بدون موجب، لأن النهي في قول الباطن يصدق في الكلام الموجه الذي ظاهره ليس بحق، و ذلك مذموم إلا عند الخوض أو الملابسة[1].

كما ورد الأمر بصيغة الجمع في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى : ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) ﴾ [الأنعام : 152]، و في تقديم الجار و المجرور على فاعله اهتمام بأمر العهد.

و قوله تعالى :﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [الأنعام : 152].

و قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام : 153] .

و قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93) ﴾ [الأنعام : 93] .

و في هذه الآية حكاية عن قول الملائكة للظالمين عند انتزاع أرواحهم أخرجوا أرواحكم من أجسادكم و الأمر هنا للإهانة و الإرهاق و التعجيز و فيه إغلاظ للظالمين ووعيد بالآلام عند نزع الأرواح في الدنيا .

و من ذلك قوله تعالى داعيا لعبادته وحده : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) ﴾ [الأنعام : 102] .

[1] - ينظر التحرير و التنوير: مج: 5 -ج: 8 -ص: 186.

و قد جعل الأمر بالعبودية مفرّعا على وصفه بالربوبية والوحدانية لتلازمها، فجاء هنا على وجهين: أحدهما صريح و الثاني عن طريق الإيماء و التفريع .

2-2-2-الأمر بصيغة المضارع المقرون بلام الأمر :

ورد هذا النوع مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ(92) ﴾ [الأنعام : 92] .

وقد جاء هذا الأمر بهذه الصيغة لأن الآية قبله تصف كتاب الله المنزّل، و جعل هذا الأمر سببا في إنزال الكتاب، فأفادت اللام التعليل و لكنّها في نفس الوقت تضمنت الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بإنذار قومه به، فهو أمر عن طريق الإخبار و هذا من أفانين الاستعمال الفصيح.

2-2-3-الأمر بالإخبار بفعل الأمر :

وقد ورد هذا النمط في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(71) ﴾ [الأنعام : 71].

قال الزمخشري : " كأنه قيل : قل هذا القول و قل أمرنا لنسلم فإن قلت ما معنى اللام في (لنسلم) ؟ قلت :" هي تعليل للأمر بمعنى : أمرنا و قيل لنا أسلموا لأجل أن نسلم " [1]، و أفيد الأمر هنا بالإخبار عنه بالفعل (أمرنا) و ذلك ليقتدي غير المسلمين بهم و بالمرسلين .

2-2-4-الأمر باسم فعل الأمر :

ورد في موضعين:

الأول: قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(151) ﴾[الأنعام : 151] .

وابتدئ بفعل الأمر بالقول قبل اسمه استرعاء للأسماع، و ذلك لأن القام مقام تعليم و إرشاد.

[1] - الكشاف : الزمخشري، ج: 2-ص:37 .

و من ذلك أيضا قوله تعالى قبله ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(150) ﴾ [الأنعام : 150] .

فـــ" (هلم) اسم فعل أمر للحضور أو الإحضار ، و هي تكون قاصرة كقوله تعالى :﴿ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ و متعدية مثل هذه الآية، واختلفت فيها العرب على لغتين :

إحداهما: أن تلزم طريقة واحدة لا يختلف لفظها بحسب من هي مسندة إليه فتقول : هلم يا زيد... و هلم يا هندات، و هي لغة أهل الحجاز .

والثانية : أن تلحقها الضمائر البارزة بحسب من هي مسندة إليه فنقول : هلـــم ، و هلمـــا ... و هلممن ... و هي لغة بني تميم"[1] .

و الأمر بها هنا للتعجيز إذ لا يلقون شهداء فيشهدون أن الله حرم ما نسبوا إليه تحريمه مـــن ديـــن المشركين ، و أضيف الشهداء إلى ضمير المخاطبين للمبالغة في تعجيزهم .

2-2-5- الأمر بالمصدر:

وجاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الأنعام: 151].

ففي قوله (وبالوالدين إحسانا) (إحسانا) مصدر نائب مناب فعل الأمـــر أي وقلنـــا : أحســـنوا بالوالدين إحسانا، وهو أمر مؤكد يدل على الوجوب وذلك لما دلّ عليه تقديم المتعلق علـــى متعلقـــه ، إذ الأصل(إحسانا بالوالدين) فـــ(بالوالدين) جار ومجرور متعلق بفعل محذوف تقديره (وأحســـنوا بالوالـــدين إحسانا)، و(إحسانا) مفعول مطلق للفعل المحذوف المقدر، و ورد هذا النوع من الأمر مـــرة واحـــدة في السورة .

وبهذا تكون بنية الأمر في السورة قد تنوعت من ناحية استعمال غالبية الصيغ التي يستفاد منها الأمر في اللغة: من الأمر بالصيغة إلى الأمر بالمصدر واسم فعل الأمر والمضارع المقرون بلام الأمر، وذلك تفننا في أساليب الإبلاغ ، والتي منحت تنوعا دلاليا آخر خرج به الأمر من الوجوب الذي هو الأصل إلى: الإباحة وإلى الاستحباب، أو التهديد أو التعجيز والاحتقار، أو التعظيم والامتنان.

---

[1] – شرح قطر الندى وبل الصدى :العلامة جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت761 هـــ)،حققه:محمد محي طعمه حلبي ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ،الطبعة الثالثة 1998 –ص:26-27.

3-جملة النهي في السورة :

النهي نوع من أنواع الإنشاء الطلبي، و"هو طلب الكف عن فعل شيء"[1] على وجه الاستعلاء والإلزام ، وله صيغة واحدة هي المضارع المقرون ب(لا) الناهية التي تقع على فعل الشاهد والغائب [2].

ويلاحظ البلاغيون أن التعامل مع بنية النهي "يستدعي حالة شعورية وذهنية تبدأ فاعليتها من منطقة (الإثبات)، لأن (الكف) فعل يحصل بشغل النفس بضد المنهى عنه، وهو ما يستدعي تقدم الشعور بالمكفوف عنه، لأننا لا نطالب أحدا بعدم الفعل –أي تركه- إلا وعنده عزم على هذا الفعل، أو على الأقل وعي بإمكانية وقوعه، إذ لا يعقل أن يكون هناك إنسان لا يعي شيئا عن فعل ما ولا يعتزم فعله ثم أمر بتركه"[3] .

وقد تخرج صيغة النهي عن معناها الحقيقي إلى معان أخرى تفهم بالقرائن من سياق الكلام[4] .

3-2-أغاطها ودلالتها البلاغية:

سبق وأن أشرنا إلى أن للنهي صيغة وحدة هي (لا) الجازمة مقترنة بالفعل المضارع ، وبلغ عدد الآيات التي ورد فيها النهي في السورة 12 آية وعدد جمل النهي 16 جملة، وجاءت كالآتي:

3-2-1-النهي الموجه إلى المفرد:ورد 6 مرات :

منها نهي مؤكد في موضعين:

قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (35)﴾[الأنعام:35].

وعدل عن الأمر بالعلم إلى النهي عن الجهل لأنه يتضمنه فيتقرر في الذهن مرتين، وفي النهي عن الجهل تحريض على استحضار العلم به، كما يقال للمتعلم : لا تنس هذه المسألة ، والنهي وإن كان للنبي ﷺ فهو من باب قوله تعالى : ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [5].

---

[1] – شرح كافية ابن الحاجب:محمد بن الحسن الاستراباذي الرضي(ت 688هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، (د ت) ج:2– ص:252 .

[2] – ينظر شرح الكافية:ج: 2–ص:252 .

[3] – البلاغة العربية قراءة أخرى د: محمد عبد المطلب – ص : 297.

[4] – ينظر الإتقان في علوم القرآن:السيوطي ،دار الفكر، بيروت ، لبنان (د ت) –ج: 1–ص:92.

[5] – فاطر: 08 ، ينظر تفسير البحر المحيط : مج: 4 –ج: 7 –ص: 116.

وأما الآية الثانية فهي قوله تعالى : ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (114)﴾ [الأنعام: 114].

والمقصود من هذا النهي (أي فلا تكونن من الممترين) تأكيد الخبر قبله، أي فلا تكونن من الممترين أن اليهود والنصارى يعلمون ذلك، كقول القائل بعد الخبر : وهذا مما لا شك فيه ، هذا إذا كان الخطاب موجها للنبي ﷺ ، أما إذا وُجه الخطاب إلى غير معين فيكون المعنى: أي فلا تكونن- أيها السامع – في أن القرآن من عند الله ، ويتفرع المعنى بذاك من قوله تعالى (منزل من ربك بالحق)، أما في الاحتمال الأول فإن الخطاب يتفرع عن قوله (يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) ، وفي هذا النهي التعريض بالمشركين كما يقال (إياك أعني واسمعي يا جاره) .

وبهذا تكون هذه البنية قد أدت معان مختلفة قد يقصد منها المجموع أو كل واحد منفرد منها حتى تذهب أفهام السامعين ، إلى ما يبدو لكل منها، وهذا من خصائص الأسلوب القرآني.

وقد حمله الزمخشري على العموم فقال:" (فلا تكونن من الممترين) خطابا لكل أحد، على معنى أنه إذا تعاضدت الآيات على صحته وصدقه- يعني القرآن- فما ينبغي أن يمترى فيه أحد" [1] ، ثم تدراك فقال: وقيل الخطاب للرسول ﷺ خطاب لأمته.

وقال سيد في تأويلها : " وماشك رسول الله ﷺ ولا امترى ... ولقد ورد أنه ﷺ عندما نزّل الله عليه ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [2] ... قال:" لا شك ولا أسأل" ، ولكن هذا التوجيه وأمثاله ، وهذا التثبيت على الحق ونظائره ، تدل على ضخامة ما كان يلقاه ﷺ والجماعة المسلمة من الكيد والعنت والتكذيب والجحود ، ورحمة الله- سبحانه- به وبهم بهذا التوجيه والتثبيت"[3] .

ولم يرد نهي بصيغة التوكيد بغير فعل الكينونة ، أما الأفعال الأخرى فمنها:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (52)﴾ [الأنعام: 52] .

---

[1] - الكشاف :ج: 2-ص:60 .

[2] - يونس: 94 .

[3] - في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار الشروق : مج: 3 -ج: 08 -ص: 1195.

فجاءت بنية النهي هنا على ما هو الجاري من تقديم أداة النهي (لا) ثم الفعل المضارع وفاعله ثم المفعول به، وسلك في المفعول به الإظهار دون الإضمار فلم يقل (ولا تطردهم) إعلاء لشأن المؤمنين المتقين المخلصين وتنويها بهم ، وفيه رد على المشركين الذين احتقروهم ، فقد روى ابن جرير بسنده عن ابن مسعود في سبب نزول هذه الآية " قال: مر الملأ من قريش على النبي ﷺ وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا : يا محمد أرضيت هؤلاء من قومك ، هؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا، أنحن نكون تبعا لهؤلاء أطردهم عنك فلعل إن طردتهم أن تتبعك"[1] ، فنزلت هذه الآية تعريضا بالمشركين واحتقارا لهم وتنويها بالخاشعين من المؤمنين عن طريق النهي .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (68)﴾ [الأنعام: 68] .

فوقع الفعل لازما بعد أداة النهي في بنية هذه الآية، والخطاب في هذه الآية للرسول ﷺ وحكم بقية المسلمين كحكمه.

قال الزمخشري: " ويجوز أن يراد : وإن كان الشيطان ينسيك قبل النهي قبح مجالسة المشركين لأنها مما تنكره العقول (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد أن ذكرناك قبحها ونبهناك عليه"[2].

والآية الخامسة في نهي المفرد في قوله تعالى : ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (150)﴾ [الأنعام: 150] .

(فلا تشهد) فيه كناية عن تكذيب المشركين إذ لا صدق لغيرهم بشهادتهم، وقد تضمنت الآية نهيين جاء الأول منهما فعله لازما، أما الثاني فمتعديا، والقول فيهما كالقول في نظائرهما المتقدمة من حيث الدلالة البلاغية.

وهناك إخبار عن النهي بلفظ النهي في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (56)﴾ [الأنعام: 56].

وبني الفعل(نهيت) للمجهول للاستغناء عن ذكر الفاعل لظهور المراد أي نهاني الله، والمراد إبطال عبادة المشركين بالإخبار بعد إبطالها في آيات تقدمت بالاستدلال .

---

[1] - جامع البيان : الطبري : مج: 5 –ج: 7 –ص: 203 – 204 .

[2] - الكشاف : الزمخشري: ج: 2–ص:35 .

3-2-2 النهي الموجه إلى الجماعة:

وورد هذا النوع في السورة 10 مرات وهي كلها بعد الآيات المائة الأولى، وأول نهي بصيغة الجمع هو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(108)﴾ [الأنعام:108].

والمخاطب بهذا النهي هم المسلمون لا الرسول ﷺ ،لأن الرسول ﷺ لم يكن فحاشا ولا سبابا وإنما كان المسلمون لغيرهم عن الإسلام ربما تجاوزوا الحد، ففرطت منهم فرطات سبوا فيها أصنام المشركين.

ووجه النهي عن سب أصنام المشركين هو "أن النهي لا تترتب عليه مصلحة دينية لأن المقصود من الدعوة هو الاستدلال على إبطال الشرك بالحجة...أمّا السّب فهو مقدور للمحق وللمبطل فيظهر بمظهر التساوي بينهما، وربما استطاع المبطل بوقاحته وفحشه ما لا يستطيعه المحق، فيلوح للناس أنه تغلب على المحق"[1].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ(121)﴾ [الأنعام: 121].

وقد اكتسب النهي في الآية صفة العموم للمسلمين، وذلك أن النهي عما لم يذكر اسم الله عليه يدخل ضمنه الميتة، وما ذكر اسم غير اسم عليه، وما لم يذكر اسم الله عليه، والمقصود بالأخير ترك التسمية المقصود به تجنب ذكر الله عليها، ولذلك أتبعه بقوله تعالى: ﴿وإنه لفسق﴾ فيخرج منه الساهي عن التسمية من المسلمين ، وهذا كله حتى يكون الذبح لله وحده ،ولهذا جيء بالاسم الموصول(ما) حتى يدخل فيه كل الأصناف السابقة، فلا يراد به شيئ معين، وحتى يكتسب اللفظ صفة العموم دون أن يقصر الحكم المستفاد منه على سبب إلا بقرينة .

فذكر الزمخشري في تأويله لما لم يذكر اسم الله عليه " قد تأوله هؤلاء يعني الفقهاء بالميتة وما ذكر غير اسم الله عليه"[2] ، فجرى فيه مجرى ما ذكره المفسرون قبله كالقرطبي وغيره ، ودلالة النهي هنا التحريم وتحذير المسلمين عن ترك التسمية المقصود به التمويه.

---

[1] - التحرير والتنوير: مج: 4 -ج :7 -ص: 430 .

[2] - الكشاف: ج: 2-ص: 62.

ومن النهي بصيغة الجمع قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (141)﴾ [الأنعام: 141].

فقد نهى الله في هذه الآية عن الإسراف الذي هو "بمجاوزة القدر في العطية إلى ما يجحف برب المال"[1] بعد الأمر بأداء الحق الواجب من الزكاة والصدقة ، فانتقل هذا النهي إلى الدلالة على الإرشاد والإصلاح وأما الإسراف في الصدقة فهو غير مقصود هنا إذ به تحصل منافع للناس عدة.

وقد ذكر ابن عاشور أن حكم هذا النهي مجمل وهو ظاهر في التحريم ... وإن الإجمال مقصود ولذا تفرقت فيه أراء المفسرين[2].

ومن نهي الجماعة قوله تعالى : ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (142)﴾ [الأنعام: 142].

حيث جاء عطف النهي باتباع خطوات الشيطان عما قبله تذكير للناس بأن هذا رزق الله وخلقه والشيطان لم يخلق فما بالهم يتبعونه في رزق الله، ثم ذكرهم بأن الشيطان لهم عدوا فما بالهم يتبعون خطواته وهو العدو المبين .

ومن نهي الجماعة قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151)﴾ [الأنعام: 151]، فتضمنت هذه الآية أربع جمل للنهي .

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: 152].

والقربان كناية عن ملابسة مال اليتيم والتصرف فيه، واقتضى النهي هنا تحريم التصرف في مال اليتيم ولو بالخزن والحفظ، لأن ذلك يعرض ماله للتلف، واستثنى منه قوله إلا بالتي هي أحسن[3] .

---

[1] - جامع البيان : مج: 5 –ج: 8 –ص: 60.

[2] - ينظر التحرير والتنوير : مج: 5 –ج: 8 –ص: 123.

[3] - ينظر المصدر نفسه: مج: 5 –ج: 8 –ص: 162-163 .

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(153) ﴾ [الأنعام :153].

كما اشتملت بعض الآيات على متضمن النهي ولازمه في الغالب في النص القرآني وهو التحريم منها قول المشركين عن تشريعهم في الحلال والحرام في قوله تعالى : ﴿قَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:139].

وقوله تعالى حكاية عما حرم على اليهود : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ(146) ﴾[الأنعام:146] .

وقد بدا واضحا من خلال هذا المبحث أن القرآن قد استعمل بنية النهي لبيان تشريعه وما يحل وما يحرم على المسلمين أو الذين يريدون أن يسلموا ، كما خرج النهي في بعض البنى إلى الدلالة على الإصلاح والإرشاد، أو التوجيه، أو التنبيه لأمر مغفل عنه، وذلك حسب ما يقتضيه المقام .

ونسبة النهي في السورة أقل من نسبة الاستفهام والأمر في جملة الطلب ،مما يدل على قصر المحظورات في هذا الدين في أشياء قليلة، لكنها فاتكة الخطورة سواء تعلق الأمر فيها بالاعتقاد، أو بتنظيم الحياة العامة للإنسان .

4-جملة النّداء والدّعاء:

النداء هو تنبيه المخاطب وحمله على الالتفات والاستجابة[1] ، وهو أسلوب من أساليب الطلب ويتم النداء بأدوات خاصة أشهرها الهمزة و(أي) لنداء القريب قربا حسيا أو معنويا ،و يا ،و هيا،و أيا لنداء البعيد بعدا حسيا أو معنويا وأكثر أدواته استعمالا هي (يا) لنداء القريب والبعيد [2].

وحكم المنادى هو النصب إن كان مضافا أو شبيها بالمضاف أو نكرة غيره مقصودة أو في محل النصب إذا كان اسم علم مفرد أو نكرة مقصودة ويكون ذلك على تقدير فعل محذوف يقدر بـ:(أدعو) أو أنادى عند بعضهم .

وقد يخرج النداء عن غرضه الأصلي إلى أغراض أخرى كالدّعاء أو الترجي أو الالتماس أو الندبة أو التعظيم أو التحقير أو التنبيه أوالاستغاثة وغالبا ما يصحب بأمر أونهي .

أما الدعاء فهو" طلب فعل شيء أو الكف عنه بشرط أن يكون من أدنى لأعلى "[3] ، ويكون بفعل الأمر الدال على الدعاء أو بالمصدر النائب عن فعله أحيانا، أو بالفعل المضارع المسبوق بـ(لام الأمر) أو بـ(لا الناهية) مع قصد الدعاء نحو (رب اغفر لي ولا تعذبني) .

4-2-أنماطها ودلالتها البلاغية:

4-2-1-النمط الأول: النداء بالأداة (يا):

وقد ود هذا النوع في السورة خمس مرات منها قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27)﴾ [الأنعام: 27].

وبنية هذه الجملة تختلف عن بنية جملة النداء العادي إذ دخلت فيه (يا) على جملة مشوحة بـ(ليت) ، وبذا فقد انتقل معنى النداء هنا إلى التحسر، لأن النداء هنا يقتضي بعد المنادى، والمتمنى هنا بعيد منهم وغير ممكن الوقوع فهو غير مفيد لهم.

ومنه قوله تعالى : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (31)﴾ [الأنعام: 31].

---

[1] - شرح المفصل في صناعة الإعراب للزمخشري أبو البقاء موفق الدين بن علي بن يعيش ،(ت 642 هـ) ،المطبعة المنيرية، القاهرة 1928 - ج:8-ص:120.

[2] - ينظر الإتقان للسيوطي: ج: 2-ص: 82 -83 .

[3] - الصاحبي في فقه اللغة: ابن فارس - ص : 187 .

فـ (قالوا) جواب إذا و" (يا حسرتنا) نداء مقصود به التعجيب والتندم وهو في أصل الوضع نداء للحسرة بتنزيلها منزلة شخص يسمع وينادى ليحضر، فكأنه يقول : يا حسرة احضري فذا أوان حضورك ومنه قولهم : يا ليتني فعلت كذا، و يا أسفي ، ويا أسفاه ، وأضافوا الحسرة إلى أنفسهم ليكون تحسرهم لأجل أنفسهم فهم المتحسِّرون والمتحسَّر عليهم بخلاف قول القائل : يا حسرةً ، فإنه في الغالب تحسر لأجل غيره "[1] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ(128) ﴾ [الأنعام : 128].

وفي بنية هذا النداء دخل الحرف (يا) على مضاف ثم تلته جملة فعلية ، ولما أسند الحشر إلى ضمير الله تبين أن النداء في قوله (يا معشر الجن) من قبل الله تعالى، على إضمار قول صادر من المتكلم أي نقول (يا معشر الجن) لأن النداء لا يكون إلا قولا، فجملة (يا معشر) مقول قول محذوف ،و هذا الحذف الذي لم يأت هنا عبثا بل هو أسلوب قرآني يقصد به التصوير حيث يبدأ الأمر فيه قولا عن المستقبل في قوله (يوم نحشرهم)، و" لكنه يستحيل واقعا للسامع يتراءى له مواجهة وذلك بحذف لفظة واحدة في العبارة، فتقدير الكلام (ويوم يحشرهم جميعا) –فيقول- (يا معشر الجن...) ولكن حذف كلمة- يقول- ينتقل بالتعبير المصور نقلة بعيدة ويحيل السياق من مستقبل ينتظر، إلى واقع ينظر! وذلك من خصائص التصوير القرآني العجيب"[2] .

والجملة الخبرية بعد جملة النداء لا يقصد بها الإخبار وإنما فيه تسجيل لجريمة الإغواء من الجن والقصد من ذلك التأنيب والتوبيخ والإنكار، وفيه تعريض أيضا بتوبيخ الإنس الذين اتبعوهم وأطاعوهم.

ومنه قوله تعال : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ(130) ﴾ [الأنعام: 130] .

فقد شمل في الآية النداء الجن والإنس، وأتبع النداء بجملة استفهامية والقصد منه التوبيخ وقطع المعذرة.

---

[1] – التحرير والتنوير: مج: 4 –ج :7 –ص: 190.

[2] – في ظلال القرآن: سيد قطب: مج: 3 –ج: 8 –ص: 1207.

ومنه أيضا قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(135) ﴾[الأنعام:135].

و اقترن هذا النداء بالأمر ليستعمل في الإنذار والتهديد، غير أن المنادى هنا منسوب إلى يـاء المـتكلم ليذكرهم النبي ﷺ علاقة القرابة، وأنه يريد بهم الخير، وأنهم منه وهو منهم إلا فيما يخاطبهم فيه ، كما جيء بالنداء للاهتمام بما سيقال لهم لأن النداء يستدعي أسماع المنادين، فجمع بين أسلوب الترغيب والترهيب في هذا التركيب ليكون أجدى للتقبل منهم .

4-2-2- النمط الثاني: النداء بـالهمزة :

وجاء ذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(74) ﴾[الأنعام: 74] .

قال صاحب التحرير :" فالأظهر أن يكون آزر في الآية منادى وأنه مبني على الفتح ، ويؤيد ذلك قراءة يعقوب (آزرُ) مضموما، ويؤيده أيضا ما رُوي أن ابن عباس قرأه (أإزر) بهمزتين أولاهـا مفتوحـة والثانية مكسورة، وروي عنه أنه قرأه بفتح الهمزتين، وبهذا يكون ذكر اسمه حكاية لخطاب إبـراهيم إيـاه خطاب غلظة فذلك مقتضى ذكر اسمه العلم[1] ،واتبع هذا النداء بالاستفهام الإنكاري تقوية للإنكار .

4-2-3-النمط الثالث : النداء بحذف الأداة :

وقد أتى ذلك في قوله تعالى حكاية عن قول الإنس جوابا عن أنفسهم وعن الجن : ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ(128) ﴾[الأنعام:128].

فالتقدير : يا ربنا فحذفت أداة النداء، وفي هذا القول اعتذار من الإنس عن الجن ما" كان منهم من طاعة الشياطين وعدم اتباع الهدى والتكذيب بالبعث واستسلام وتحسر على حالهم"[2]، واقتصر على حكاية جواب الإنس لأن الناس المشركين هم المقصودون بالموعظة، و"هو جواب يكشف عن طبيعة الغفلة والخفة

[1] – التحرير والتنوير: مج : 4 –ج: 7 –ص :312 .

[2] – تفسير البحر المحيط : مج: 4 –ج :7 –ص: 220 .

في هؤلاء الأتباع، كما يكشف عن مدخل الشيطان إلى نفوسهم في دار الخداع"[1]، وقد تضمن هذا النداء دعاء بطريق الاعتذار فكأنه قيل : (فاعذرنا) وهو الدعاء الوحيد في السورة .

وقد بدا واضحا من تتبعنا لبنية جملة الطلب في هذا الفصل في سورة الأنعام أن الأسلوب القرآني قد وظف كل إمكانات التعبير المحتملة والموجودة في اللغة لإيصال رسالته الإعتقادية أو التشريعية في أحسن صورة وفي أروع سبك ، كما بدا ذلك الثراء الدلالي والبلاغي الذي يقف المرء مبهورا حياله، حتى أنه لبإمكاننا القول أن محمل بنى الجملة الطلبية التي وردت في السورة قد خرجت إلى معان بلاغية، من ذلك خروج الاستفهام إلى الانكار والتوبيخ تارة والتهديد تارة أخرى، والتعريض بشأن ما في سياقات أخر .

ولا يختلف شأن الأمر والنهي عن الاستفهام إذ نجد للأمر مواضع لا يستعمل فيها وللنهي مواضع قد يصلح فيها الأمر وقد لا يصلح ، ولكن لا على سبيل الإختيار وإنما على قصد إعطاء دلالة إضافية وتأكيد أمر ما مثلما هو شأن توكيد الأمر عن طريق النهي .

كما لمسنا ذلك التفنن والتنوع في استخدام أسلوب النداء وذلك بحسب ما يليق بالمُنادِي وبالمنادَى في كل مقام، إضافة إلى أنه قد يقترن بأمر ونهي أو استفهام أو خبر فيهدي إليك ثوبا جديدا من المعاني ما كنت لتصل إليه لولا ذلك الرصف والبناء العجيب.

[1] - في ظلال القرآن : مج: 3 –ج: 7 –ص: 1206.

الفصل الرّابع

بنية المفردة ودلالتها البلاغية

1- المفـــــــــــردة وعلـــــــــــم الدّلالـــــــة

2-أنمـــــــاط المفـــــــردات الـــــواردة في السورة

3-البنية الصـــــــــــــرفية للمفردة و دلالتها البلاغية

4-التشكيل الصوتي و دلالته في بعض مفردات السورة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد دراستنا للتركيب النحوي ومؤداه البلاغي في سورة الأنعام، نحاول أن نعرج ولو جزئيا في هذا الفصل على المفردات و دورها البلاغي في السورة، محاولين الاختصار في ذلك على أساس أن هذا النمط من الدراسة تليق به رسالة مستقلة ، و لذا فكثيرا ما نرى كتب البلاغة تقف على المفردة و تستخرج جماليتها وإن كان ذلك بالطبع لا يخرج عن إطار السياق، فكان من المهم في هذا الفصل أن نبتدئه بمبحث حول المفردة و علم الدلالة .

1 – المفردة و وعلم الدلالة :

لقد عرّف العلماء الأقدمون الدلالة على أنها" كون الشيء يلتزم من العلم به العلم بشيء آخر و الشيء الأول هو الدال و الثاني هو المدلول" [1] ،أي أن الدلالة هي إبانة الشيء بشيء كدلالة اللفظ على المعنى ، و لذا جاء في القاموس المحيط :"دلّ عليه دلالة ويثلث فاندلّ سدّده إليه "[2].

أما علم الدلالة فعلم متأخر بهذا الإسم و إن ظهرت معالمه على أيدي العلماء العرب الأقدميين فقد أصبحت تُعزى بداياته إلى نهاية القرن التاسع عشر مع ظهور علم اللسان الحديث حتى صنفوه أحد فروعه .

ومن ثم بات علم الدلالة هذا أوسع مجالا من أي علم آخر يدرس المفردات أو المعجم أو المصطلح حتى جعله بعضهم قطب الدوران في كل بحث لغوي مما لا ينفصل عن نظرية الإدراك و فلسفة المعنى[3] .

ومن أجل ذلك فإن البحث الدلالي ينطلق من المفردات يتقصى العلاقات الدلالية بين الرسوم اللغوية ومدلولاتها ، و ما يترتب عليها من نتائج في سلامة الأداء للغرض المقصود ،و في وضوح الرسالة الموجهة من المتكلم إلى المتلقي[4].

بل إن علم المفردات لم يقف عند هذا الحد ، إذ أصبح علما قائما بذاته يندرج ضمن علم الدلالة يتناول هذا العلم الكلمة بالدراسة باعتبارها الوحدة الصغرى الدالة في اللغة ، وأنه لا يمكن أن توجد المفردة خارجة عن وضع نحوي أو قواعدي معين ، كما لا يمكن أن توجد دون المادة الأساسية وهي تكوينها اللفظي، ومعلوم أن اللغة قوامها الكلمات ، فما من لغة من اللغات إلا و هي تشتمل على رصيد منها متفاوت من حيث القلة و الكثرة ، فقد غدت الكلمة عماد اللغة و قوامها، إذ أن مهمتها الرئيسية تتجاوز الدلالة على مسميات معينة قد تكون أشياء جامدة أو مظاهر طبيعية أو مشاعر إنسانية ، فطبيعة الكلمات

---

[1] – التعريفات : الشريف الرضي ، مكتبة لبنان، بيروت، 1978- ص: 109.

[2] – القاموس المحيط ، الفيروز أبادي دار الجيل بيروت 1978 –ج:3–ص:388.

[3] – ينظر قاموس اللسانيات: عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب، 1984 –ص: 21،22 .

[4] – ينظر علم الدلالة العربي: فايز الداية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر– ص: 31.

هلامية ذلك أنها تصطبغ بالمحيط الذي ترد فيه، و هذا ما جعلنا نلحظ تعدد المعنى للكلمة الواحدة، من ذلك مثلا الفعل(قضى) الذي يفيد معنى (أمر) كما في قوله تعالى:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [1] غير أننا سرعان ما نلحظ اللفظة ذاتها تأتي بمعنى (صنع) في مثل قوله تعالى : ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ﴾ [2] ثم تنتقل إلى معنى (مات) واستشهد في قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ [3] ، و هكذا تستمر هذه الكلمة في حركيتها الدؤوبة لتشرق علينا في كل مرة بطيف متميز من المعاني .

و الحقيقة أن هذه الفكرة و إن تجلت كما مضى في درس الأسلاف من خلال تلك الكتيبات التي وضعوها لمفردات مواضع محدودة ، و جسدها ابن سيده ضمن معجمه (المخصص) إلا أنها كانت أدق مما نتخيل ، إذ أن هؤلاء تتبعوا المفردة من صلب إنتاجها إلى تمظهراتها المتنوعة، فهاهو الغزالي يقول : " إن للشيء وجودا في الأعيان ثم في الأذهان ثم في الألفاظ ثم في الكتابة "[4] و هي الحقيقة التي سجلها علماء آخرون من نفس الطراز ،غير أنهم عبرا عن ذلك بطرقهم الخاصة .

فلا جرم إذا أن تتكون اللغة على ضوء ذلك الانعكاس الطبيعي في الواقع الحسي و المعنوي و تشكيله في معان تربط بدورها بالأصوات ، و يتحقق ذلك في ظل إطار التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي مما يجعل اللغة حينها نظاما من العلامات الدالة، و التي تغطي مجالا أرحب من المفاهيم التي ترتد إلى الخبرة الانسانية، فإذا هي حقل ألسني يشمل جميع التصورات المستوحاة من الواقع الخارجي الذي يعد مرجعها لتشكيل الدوال و تحقيق التلازم التواضعي بين الصورة السمعية (الدال) و المفهوم المرتبط بتلك الصورة أو (المدلول) .

فالعذر كل العذر في أن تنصرف جهود الباحثين إلى تدارس المفردة تدارسا أوفر من أجل استكشاف حقيقتها الدلالية مادامت معطى نفسي و ثقافي واجتماعي و حضاري مفروض.

كما أن المجال الإجرائي للمفردة أوسع بكثير مما يتصوره العرف اللغوي، إذ هي فضاء دلالي ليس من اليسير إخضاعه لاقتران ثنائي بين دال معين ومدلول معين يظل يُصاحبه في اطراد رتيب، فهي في حقيقتها تتصف بحركة متجددة تكتسب شرعيتها الدلالية و البلاغية من الوضع الثقافي للمجتمع، و تنحصر دلالتها بالمطابقة و التضمن و الالتزام ، فلفظ البيت مثلا يدل على معنى البيت بطريق المطابقة، و يدل على

[1] - الإسراء :23 .

[2] - طه : 72 .

[3] - الأحزاب : 23.

[4] - معيار العلم : أبو حامد الغزالي ، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة ،(د ت)- ص: 35،36 .

السقف بطريق التضمن لأن البيت يتضمن السقف ، و أما دلالة الالتزام فهي كدلالة لفظ السقف على الحائط فهو كالرفيق الملازم الخارج عن ذات السقف الذي لا ينفصل عنه[1] .

هذا و تنقسم مفردات اللغة بحسب مقدرتها على التعبير إلى طائفتين :

الطائفة الأولى : و هي التي تضم الأسماء و الصفات و الأفعال و الظروف و تكون قادرة على التعبير و بإمكانها أن تكون أعضاء مستقلة في الجملة ، و تلعب دور المبتدأ و الخبر و الفاعل و الصفة والمضاف إليه كما أنها ترمز إلى مسمى في أية لحظة و عند أية مناسبة .

الطائفة الثانية : و عادة ما تكون مجردة عن هذه المقدرة على الدلالة بصورة مستقلة و أداء مفهوم معين واضح دون الاعتماد على غيرها من الأسماء و الأفعال و تخص منها الأعداد و الضمائر و الحروف .

ولعل سؤالات نافع ابن الأزرق للصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما حول معاني بعض مفردات القرآن إذ كان يسأل فيرد عليه ابن عباس رضي الله عنهما ببيت شعري موثقا عربية المفردة القرآنية قد فتح شهية الأسلاف لولوج هذا الباب ، فإن القرآن العظيم يبقى دائما موضوعا للدراسة بكل مستوياته ، و منها المفرداتية أو الإفرادية.

بل إن دراسة المفردة القرآنية لم تقف عند حدود الدلالة، بل ذهبت تستنطق جماليتها بتركيزها على سحر الكلمة، تجلى ذلك في الإشارات و اللمحات الذكية و الفنية في كتب الإعجاز و التفسير في العصور المتعاقبة ، فكلٌ ينظر إليها من زاوية لا يراها الآخر ، و بتعدد زوايا النظر يُقترب من سر مفردات القرآن و التي هي أجمل من الدرّ حين يبنى به قصر .

[1] - ينظر معيار العلم للغزالي: ص: 72.

2- أنماط المفردات الواردة في السورة :

لنعرف أنماط المفردات الموجودة في اللغة بعامة أو في السورة بخاصة، وجب علينا أن نقف عن مفهوم البنية بالنسبة للمفردة .

إن البنية إطار ذهني مجرد للكلمة للمفردة ، وليست هي الكلمة ذات المعنى المفرد، و ربما قرب ذلك أن : نقول إن البنية مفهوم صرفي لا ينطق ، و إن الكلمة مفهوم معجمي منطوق بالقوة، كما أن اللفظ مفهوم استعمالي تتحقق به الكلمة بالفعل بواسطة النطق أو الكتابة في محيط الجملة .

و لقد درج النحاة العرب على استعمال كلمة لفظ استعمالا غير محدد الدلالة ، ليقصدوا به الكلمة حينا و الكلام حينا آخر، على ما بين الكلمة و الكلام من فارق الإفراد و التركيب، من ذلك قول ابن مالك : كلامنا لفظ مفيد ...

فنحى باللفظ منحى التركيب في مقابل ما شاع من جعل اللفظ مرادفا للكلمة على ألسنة الدارسين .

و مغزى هذا التفريق أن نفهم معنى البنية ، فهما صرفيا محددا ينأى بهذا المفهوم أن يختلط بالعناصر المعجمية المستعملة بالقوة ، إذ تكون صامتة على صفحة المعجم أو بالفعل إذ تكون جارية على اللسان أو على القلم .

ولكن مفردات اللغة ليست جميعا من ذوات الصيغة و الأصول الاشتقاقية ، إذ نصادف من المفردات حروفا و أدوات و ضمائر و ظروفا جامدة ، بعضها على حرف واحد و البعض على حرفين ، و بعض آخر على ثلاثة أحرف ، فما كان منها على حرف واحد اتصل بغيره خطا و لكنه ما يزال في بنية السورة يعد كلمة ، و يؤدي وظيفة الكلمة، و يصدق ذلك الاتصال في الخط على بعض ما كان على أكثر من حرف أيضا .

و بهذا فإن هذه الطوائف المذكورة تتجاوز تعريف النحاة للكلمة فإنها ما دل على معنى مفرد، كما أنها لا تدل على معنى معجمي و إنما تدل على معاني صرفية و نحوية لا تتحقق إلا من خلال السياق المتصل و التركيب، و سُمي هذا النمط من المفردات بحروف المعاني حتى أنه إذا عبر عن أحد معانيها عنصر غير الحرف لحقه الشبه المعنوي، فكان ذلك سببا في بنائه.

و من المعاني العامة التي تخص هذا النمط في السورة المدروسة أو في غيرها معاني حروف الجر كالظرفية و الملاصقة وابتداء الغاية كقول ابن مالك حول معاني حرف الباء :

بِالبَاءِ اسْتَعِنْ وَعَدِّ عَوِّضْ أَلْصِقِ وَمِثْلَ مَعْ وَمِنْ وَعَنْ بِهَا انْطِقِ [1].

و منها أيضا معاني حروف العطف كمطلق الجمع و الترتيب والتعقب ، و معاني إنَّ و أخواتها كالتأكيد و التشبيه و التمني و الترجي، و قد مضى بنا بعضها في دراستنا لبنية الطلب و الخبر في السورة فتجاوزنا الحديث عنها هنا ، كما هو أمر معاني الضمائر كالإفراد و التثنية و الجمع و التكلم و الخطاب و الغيبة و التذكير و التأنيث، و منها ما مرت بنا إشارات إليه عند الكلام عن أسلوب الالتفات ، وهكذا يستمر زخم المعاني في الموصولات و الإشارات و الظروف و غيرها .

ولكل كلمة معان صرفية و نحوية تختلف من حيث طابعها عن المعاني المعجمية المفردة المنسوبة إلى الصيغ من ذوات المشتقات ، و التي سنخصص لها المبحث المقبل من هذا الفصل، و هو النمط الثاني للمفردات حيث يقوم على ركيزتين هما :

1-معاني الأصول الثلاثة من حيث أنها تلخص علاقة اشتقاقية بين طائفة من الكلمات .

2-ما ينسب إلى الصيغة الصرفية من معنى عام كالطلب و المطاوعة و الاتخاذ و التّدريج ...

أما النمط الثالث من المفردات فهو ما يمكن أن نسميه بالكلمات الجامدة، و هي الكلمات التي ليس لها صيغ صرفية،و بنية هذه المفردات الجوامد هي صورها الذهنية ،وتكتسب هذه المفردات معنى وظيفيا يختلف عن المعنى المفرد الذي يرصد الكلمة في المعاجم ، و يتحدد هذا المعنى الوظيفي من خلال وظيفة بنية الكلمة و علاقاتها بما يجاورها من المباني .

[1] - شرح ابن عقيل : ج: 2-ص:23.

3 – البنية الصرفية للمفردة و دلالتها البلاغية :

تعددت معاني الصيغ الصرفية سواء كانت هذه الصيغ ثلاثية أم أكثر من ثلاثة ، فأما الثلاثيـــة غـــير الفعلية فإنها شركة بين الأسماء و الصفات، و لو أننا تجاهلنا الإعراب الذي يطرأ على صفة فاعل لقلنـــا إن بعض صيغ الصفات مشتركة بينها و بين الأفعال ، كما في نحو (قاتل) للفاعل ولفعل الأمر، بل إنها في بعض صورها لا يحدد معناها إلا إعراب كلمة أخرى في حيزها ، كما في (قاتلوا زيدًا) و (قاتلو زيدٍ) فلا يُدرى معنى (قاتلوا) منطوقا بإفراده و لا يستبين إلا بإعراب زيد بعده ، فإن كان زيد منصوبا فالذي قبله فعـــل أمر، وإن جر فالذي قبله جمع مذكر سالم مضاف .

و لم يكن القرآن بمعزل عن لغة العرب بل جاء مهذبا لها ومنقحا لما فيها من عيوب ، و قد اكتست الصيغة الصرفية للكلمة بآداء خاص أفهمها من المعاني ما تعقم عن مثله أذهان البشر، إضافة إلى بعض أسرار كلام العرب البديع الذي ترجمته هذه البنى، و من ذلك " أنهم جعلوا (استفعل) في أكثر أمره للطلب نحـــو استسقى واستطعم واستوهب" [1] ،و "تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل فقالوا: كبّـــر و قطّـــع وفتّح"[2] ،إلى غير ذلك .

وإذا كانت دراسة البنية الصرفية نمطا من الدراسة الصوتية إلا أنني خصصت لها مبحثا مستقلا لكونها قرينة لمباحث التركيب التي مرت بنا في الفصول السابقة.

هذا و قد قسمت البنى الصرفية في السورة في هذا المبحث إلى مبان فعلية و مبان اسمية، حاولت من خلالها الإشارة إلى دلالتها ، و لم أكن لأستقصيها جميعا نظرا لكثرتها فانتقيت منها بعضها .

3-1-مباني الأفعال :

تنوعت مباني الأفعال كما تنوعت معانيها و دلالاتها، وارتأيت من خلال دراستي للصيغة الصرفية ذكر الأوزان الصرفية للأفعال الواردة في السورة مع دلالاتها العامة و قد جاءت كالآتي :

3-1-1-الفعل اللازم المجرد :

و قد أتى مطلقا وفق الأوان التالية :

1- فَعَلَ – يَفْعَلُ : وجاءت هذه الصيغة لـــ :

---

[1] – الخصائص : لأبي الفتح عثمان ابن عثمان ابن جنّي ، تحقيق :محمد علي النجّار، المكتبة العلمية دار الكتب المصرية ،(د ت) -2- ص:153.

[2] – المصدر السابق : ابن جنّي –ج: 2–ص:155 .

أ-الدلالة على الظهور: و ذلك في قوله تعـــالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [الأنعـــام : 151] و الفعل هو: (ظَهَرَ- يَظْهَرُ)

2-فَعَلَ – يَفْعُلُ : و جاء لـــ :

أ-الدلالة على الظهور: و ذلك في: (فَسَقَ – يَفْسُقُ) في قوله تعـــالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ(49) ﴾ [الأنعام :49]، ومنه " فسقت الرطبة ، إذا خرجت عن قشرها ، و فسق الرجل – يفْسَقُ و يَفْسُقُ أيضا عن الأخفش: فسقًا و فسوقا أي فجر ، يقال فسق عن أمر ربه أي خرج"[1]

ب-الدلالة على الإختفاء: في (أَفَلَ – يَأْفُلُ) في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ(76) ﴾ [الأنعام : 76] .

" و أفل النجم أفولا غاب و الأفول خاص بغياب النيّرات السماوية، يقال : أفل النجم و أفلـــت الشمس ، و هو المغيب الذي يكون بغروب الكوكب وراء الأفق بسبب الدورة اليومية للكرة الأرضية"[2].

جـــ - الدلالة على السكون: و منه: (سَكَنَ – يَسْكُنُ) في قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(13) ﴾ [الأنعام :13] .

3-فَعَلَ – يَفْعِلُ : و جاء لـــ:

أ-الدلالة على الحركة الرأسية: و منه: (طار- يَطِيرُ) في قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ(38) ﴾ [الأنعام : 38] .

[1] - الصحاح: أبو نصر إسماعيل ابن حمّاد الجوهري (ت0398) تحقيق : أحمد عبد الغفور عطّار دار العلم للملايين ، بـــيروت، لبنـــان الطبعة الأولى 1979 –ج: 4-ص: 1543 .

[2] - التحرير و التنوير : مج: 4 –ج: 7 –ص: 320.

ب- الدلالة على الحركة الدائرية : و منه: (حاق – يحيق) في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(10) ﴾ [الأنعام : 10.] جاء في الصحاح: " حاق به الشيء يحيق أي أحاط به "[1]

4-فَعِلَ – يَفْعَلُ : و جاء لـ:

أ-الدلالة على حالة بسيكولوجية: و منه :(حَزِنَ – يَحْزَنُ) في قوله تعالى : ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(48) ﴾ [الأنعام :48] .

ب- الدلالة على الأعراض و الأدواء: ومنه (عَمِيَ- يَعْمَى) في قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ(104) ﴾ [الأنعام :104].

جـ- الدلالة على حكاية الحدث: و منه: (شَهِدَ –يَشْهَدُ) في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(19)[﴾الأنعام :19].

و قد لاحظنا في تتبعنا للأبنية المجردة للفعل اللازم في السورة أنها وصف للفاعل في حالاته المختلفة و رصد لسلوكه دون الإشارة إلى تفاعل فعله مع آخرين .

3-1-2- الفعل اللازم المزيد : أبنية و دلالته :

للفعل المزيد نوعين من الدلالة أما الأولى فتمثلها المادة المعجمية و الثانية يعطيها نمط البناء ، ثم إن حركية اللغة و حاجتها إلى مزيد من الدلالات تجعل للبناء أكثر من دلالة ، خصوصا إذا توخّينا ذلك في النص القرآني، و الذي طالما كان منبعا خصبا لذلك التنوع الدلالي و المعنوي، بحيث أنك كلما أمعنت النظر فيه و كنت من التابعين إليه و العالمين بما فيه أوحي إليك بما لم يخطر على البال، و قد جاءت صيغ الفعل اللازم المزيد في السورة على النحو التالي :

[1] - الصحاح :ج: 4-ص:1466.

1-أفْعَلَ – يُفْعِلُ : و قد جاء لـــ :

أ-الدلالة على الصيرورة: و منه: (أثْمَرَ – يُثمِرُ) في قوله تعالى : ﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(99) ﴾ [الأنعام : 99] ،أي صار ذا ثمر.

و منه أيضا (أقْسَمَ – يُقْسِمُ) في قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ [الأنعام : 109] .

و (القسم) مصدر قسمت الشيء فانقسم ، أي صار ذا قسم و هو نصيب قسم الأيمان التي كان يؤديها أهل القتيل ليعطوا الجزية أي قسما من المال، و منه انتقل ذلك إلى معنى الحلف .

2-فَعَّلَ – يُفَعِّلُ : و قد أتى لـــ :

أ-الدلالة على المبالغة : و منه (فَرَّط – يُفرِّط) في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ(61) ﴾[الأنعام : 61] .

و " التفريط التقصير في العمل و الإضاعة في الذوات" [1] ، و" التفريط التواني و التأني عن الحد "[2]

3- تَفَعَّلَ – يَتَفَعَّلُ : و قد جاء لـــ :

أ-الدلالة الانعكاسية : و مفهومها أن يرتد الفعل إلى الفاعل فيقع عليه ولا يكون هناك مفعول به ظاهر، لأن التفاعل حصل بين الفاعل وبين نفسه .

و منه :(تضرّع – يَتَضَرَّعُ) : في قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(43) ﴾[الأنعام : 43] .

و قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ(42) [﴾ الأنعام : 42] .

و" ضرع الرجل ضراعة أي خضع و ذل ... و تضريع الشمس دنوّها من المغيب"[3]

---

[1] - التحرير و التنوير: مج: 4 –ج: 7 –ص: 279 .

[2] - الكشاف:ج: 2–ص:32.

[3] - الصحاح :ج:3–ص:1249 .

4 – استفعل – يَسْتَفْعِلُ : و جاء لـــ :

أ-الدلالة الانعكاسية : نحو ، (استبان – يستبين) و منه قولـــه تعـــالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (55) ﴾ [الأنعام :55].

ب- الدلالة على طلب حدوث الفعل: نحو :(استجاب – يستجيب) و منه قوله تعـــالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (36) ﴾ [الأنعام :36] .

و يكون لهذا الفعل معنيان أحدهما الشائع و هو تنفيذ الأمر لـــ(استجاب) بمعنى أجاب، قال أبـــو حيان : " و يستجيب بمعنى يجيب ، و فرق الرماني بين أجاب واستجاب بأن استجاب فيه قبول لما دعي إليه ... و ليس كذلك أجاب لأنه قد يجيب بالمخالفة "[1] ،و منه يتبادر المعنى الثاني لاستجاب و هو طلب الإجابة .

5 – افتعل – يَفْتَعِلُ : نحو (امترى – يمتري) و منه قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2) ﴾ [الأنعام : 02] .

و قد دل هذا الوزن هنا على الانعكاسية، إذ أن معنى امترى أمرى نفسه.

والفعل اللازم يدل في السورة على اتجاه الفاعل إلى نفسه ووصف ســـلوكه الـــذاتي، و لـــذلك يكتسب صفة الإطلاق، غير أن هناك عوامل أخرى تسهم في ربط الفاعل بما حوله و تسبب تقييد الفعل اللازم ،و ذلك كحروف الجر مثلا و حروف المعاني ، و عندها يشكل الحرف مع الفعل ضميمة مشتركة تخرجه من اللزوم إلى التعدية ،غير أنني أغفلت الكلام عنها هنا لأنتقل مباشرة إلى الفعل المتعدي ، و هو في مجمله يعبر عن علاقات الفاعل بالعالم الخارجي عنه سواء كانت سلبية أم إيجابية و هو مجرد و مزيد .

3-1-3- الفعل المتعدي المجـــــرد : و منه :

1- فَعِلَ – يَفْعَلُ : و منه (رَحِمَ – يَرْحَمُ) في قوله تعالى : ﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (16) ﴾ [الأنعام : 16].و قد جاء للدلالة على المنح فيصدر الفعل علاقة إيجابية مـــن جهـــة الفاعل نحو المفعول به .

[1] – تفسير البحر المحيط : مج: 4 –ج :7 –ص: 117 .

2- فَعَلَ – يَفْعِلُ : و أتى لـــ :

أ-الدلالة على التناول: و منه : (وَزَرَ – يَزِرُ) في قولـــه تعـــالى : ﴿ ولا تزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام:164] .

ب-الدلالة على الإنتاج و الزيادة : و منه (جزَى – يَجْزِي) في قولـــه تعـــالى : ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(84) ﴾ [الأنعام :84].

3-فَعَلَ – يَفْعُلُ : و دلّ على :

أ–المصادمة :و منه: (سبّ – يسبّ) كما في قوله تعـــالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(108) ﴾ [الأنعام :108].

ب–التحزئة : و منه: (قَصَ – يَقُصُ) في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ(57) ﴾ [الأنعام : 57].

و هو من القصص أو من الحكاية ، أي يحكي بالحق ،والقصص ذكر جزء بعد جزء .

جـ–الإبعاد: و منه : (طَرَدَ- يَطْرُدُ) في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ(52) ﴾"

واستعمل الفعل للدلالة على الإبعاد لأن الطارد يجري خلف المطرود ثم عم استخدام الفعل للإبعاد حتى وإن لم يكن من الفاعل متابعة المطرود "[1].

4-فَعَلَ – يَفْعَلُ : و جاء :

[1] – الفعل في القرآن الكريم تعديه و لزومه: أبو أوس إبراهيم الشمسان، ذات السلاسل للطباعة و النشر ، الكويت 1986 –ص: 284.

أ-الدلالة على الإنتاج: مثل (جَعَلَ – يَجْعَلُ) ورد في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ(124)﴾ [الأنعام :124].

ب- الدلالة على التناول: و منه : (جَرَحَ – يَجْرَحُ) في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(60) ﴾ [الأنعام : 60].

و الجرح من لوازم عملية الصيد و استخدم هنا ليدل عليها ثم عمّمت دلالته ليشمل مطلق الإكتساب .

جـ – الدلالة على المصادمة :و منه (رأى – يَرَى) في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ(78) ﴾ [الأنعام :78].

3-1-4- الفعل المزيد المتعدي :

و جاء على الصيغ التالية :

1 -أفْعَلَ – يُفْعِلُ : و دل على :

أ-الجعل : كـ (أنزل – يُنْزِلُ) و منه قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ [الأنعام : 93].

و(أنشأ – يُنْشِئُ) في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(141) ﴾ [الأنعام :141].

ب- الاشتقاق من الاسم : كـ(أدرَك – يدرِك) و منه قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(103) ﴾[الأنعام : 103] .

و الدرك أسفل كل شيء و لم يستعمل منه فعل ثلاثي

2- فَعَّلَ – يُفَعِّلُ : و دلّ على :

أ-الجعل: و منه التحريم كـ (حرَّمَ – يُحَرِّمُ) في قوله تعالى : ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ﴾ [الأنعام :150].

ب-المبالغة: و تأتي في بعض الأفعال لتدل على التكرار، و تكون في بعض الأحيان للدلالة على أن الحدث يكون في جزئيات المفعول، كما تدل على شدة الحدث و إحكامه .

و منه (نزَّل – يُنزِّل) كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(37) ﴾ [الأنعام : 37] .

و(فرَّقَ –يُفرِّقُ) كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(159) ﴾ [الأنعام :159].

3-تَفَعَّلَ – يَتَفَعَّلُ : و جاء للدلالة على الاشتقاق من الاسم.

ومنه (تَوَفَّى – يَتَوَفَّى) كما في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ(61) ﴾ [الأنعام : 61] .

أي هي مشتقة من التوفي و الوفاء الذي يدل على الكمال و الإتمام و المقصود هنا " استوفت روحه "[1] .

4-فَاعَلَ – يُفَاعِلُ : و قد أتى في السورة للدلالة على المشاركة.

و منه (جَادَلَ – يُجَادِلُ) كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(25) ﴾ [الأنعام :25].

5-اسْتَفْعَلَ – يَسْتَفْعِلُ: و قد استعملت هذه الصيغة للدلالة على الطلب و الوجدان .

[1] - الكشاف:ج: 2-ص:32.

و منه: (اسْتَهْوى – يَسْتَهْوِي) كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71) ﴾ [الأنعام : 71].

قال الزمخشري :"فإن قلت ما معنى استهوته ؟ قلت هو : استفعال من هوى في الأرض إذا ذهب فيها كأن معناه : طلبت هويه و حرصت عليه"[1] ، و هو طلب هوى المرء و محبته .

و بهذا تكون الصيغة الصرفية في الفعل قد شغلت حيزا هاما من الدلالة العامة للجملة ، سواء كان الفعل لازما أو متعديا، مجردا أو مزيدا، إضافة إلى ما تحمله المادة الأصلية من معنى معجمي، و ساهمت في إحراج الدلالة بأنماط مختلفة من الأبنية تتجسد فيها إعجازية النص القرآني من خلال ذات التنوع ، و الذي أكسب بنية المفردة أو التركيب ثراء معرفيا و معنويا سمح لكل متلق أن يأخذ منه نصيب .

3-2-مباني الأسماء :

تعددت مباني الأسماء كتتعدد مباني الأفعال أو أكثر، وإذا كنا في مباني الأفعال قد حاولنا استشراف الدلالة العامة للوزن في السورة ، فسنحاول في مباني الأسماء معرفة ما يضيفه الوزن أو الكلمة المنتمية إلى أوزان معينة في البنية النحوية لبعض الآيات ، إذ الوقوف عليها جميعا لا يمكن أن يخصص له مبحث كهذا لكثرتها وتنوعها من جهة ، وطول السورة من جهة أخرى ، لذلك رأينا الاكتفاء ببعض النماذج منها :

3-2-1- صيغة (فاعل):

من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ(76) ﴾ [الأنعام :76] .

حيث وصف الشمس والقمر وغيرهما من النجوم بـ (الآفلين) على وزن فاعلين التي مفردها فاعل، وهذا الوزن مختص بجمع الذكور العقلاء ، ووضع هنا بناء على اعتقاد قوم إبراهيم أن الكواكب عاقلة متصرفة في الأكوان ، ولا يكون الموجود معبودا إلا وهو عالم .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ(18) ﴾ [الأنعام :18].

[1] - الكشاف:ج: 2-ص:37.

فالقاهر هو " الغالب المكره الذي لا ينفلت من قدرته من عُدِّيَ إليه فعل القهر"[1]، وهذا القهـــر لا يجد منه المخلوق ملاذا لأنه قهر بأسباب لا يستطيع أحد الخلق أن يدافعها .

3-2-2- صيغة الفاعل من غير الثلاثي (مُفْعِلُ):

وقد جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (4)﴾ [الأنعام :4].

وقد اختير الإتيان في خبر كان بصيغة اسم الفاعل للدلالة على أن هذا الإعراض متحقق من دلالـــة فعل الكون، ومتجدد من دلالة صيغة اسم الفاعل لأن المشتق في قوة الفعل .

ومنها أيضا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (95) ﴾ [الأنعام :95].

فـــ(مخرج) هي صيغة اسم فاعل ، وعطف قوله (مخرج الميت) على قول (فالق الإصباح) قبلها فأتى باسم فاعل على اسم فاعل،و " لم يعطفه على(يخرج) لأن قوله(فالق الحب والنوى) مـــن جـــنس إخراج الحي من الميت، لأن النامي في حكم الحيوان "[2].

3-2-3-صيغة "ا فعل " التفضيل :

ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ ولا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ [الأنعام :152].

فأتى بـــ (أحسن) و لم يأت بالتي هي حسنة " فجاء بأفعل التفضيل مراعاة لحال اليتيم وأنه لا يكفي فيه الحالة الحسنة بل الخصلة الحسنى ، وأموال الناس ممنوع من قربانها، ونص على اليتيم لأن الطمع فيـــه أكثر لضعفه وقلة مراعاته "[3].

3-2-4-صيغة (مُسْتَفْعَلُ):

وجاء في قوله تعـــالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98) ﴾ [الأنعام :98].

---

[1] - التحرير والتنوير : مج : 4 –ج: 7 –ص: 164 .

[2] - تفسير البحر المحيط : مج: 4 –ج: 7 –ص: 185 .

[3] - المصدر نفسه : مج: 4 –ج: 8 –ص: 252 .

فقراءة (مُستقَرّ) بفتح القاف هي قراءة الجمهور تجعل من صيغة (مستقر) دالة على المكـــان ، وكـــذلك (مستودع) في قراءتها بفتح الدال، فيكون المعنى أي (موضع استقرار وموضع استيداع)، و قد تدل على المصدر فيكون المعنى (فاستقرار واستيداع)، ولا يكون مستقر اسم مفعول لأنه لا يتعدى منه فعله فيبنى منه مفعول [1].

3-2-5-صيغة (فعلوت) :

وجاءت هذه الصيغة في قوله تعـــالى : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ(75)﴾[الأنعام :75].

و(ملكوت) كلمة نبطية على وزن فعلوت، وأدخلها العرب في لغتهم لما فيها من خصوصية القـــوة والدلالة على المبالغة، وتأتي للدلالة على المصدر ، وإطلاق المصدر هنا لإرادة اسم المفعول أي المملـــوك وهذا من باب المجاز [2] .

3-2-6-صيغة (فعيل):

وقد كثرت هذه الصيغة في السورة للدلالة على المبالغة، وغالبا ما وردت أوصافا واسما لله تعـــالى كقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ(18)﴾[الأنعام :18].

وقوله تعالى : ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(13)﴾[الأنعام :13].

وقوله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(103)﴾[الأنعام :103].

فاللطيف مثلا : صفة مشبهة أو اسم فاعل من الفعل لطف، وهي صفة تنزيه لله تعالى عن إحاطـــة العقول بماهيته أو إحاطة الحواس بذاته وصفاته، ويكون اختيارها في جانب الله تعالى هو منتهى الظرافـــة والرشاقة في الكلمة لأنها أقوى مادة في اللغة العربية تقرّب معنى وصفه تعالى بحسب ما وضعت له اللغة من متعارف الناس [3] .

---

[1] - ينظر تفسير البحر المحيط : مج: 4 -ج: 7 -ص: 188.

[2] - ينظر التحرير والتنوير : مج: 4 -ج: 7 -ص: 316 .

[3] -ينظر المصدر نفسه: مج: 4 -ج: 7 -ص: 417.

3-2-7-صيغة (فَعْلَة) :

وقد جاءت للدلالة على المبالغة في قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ(31) ﴾ [الأنعام :31].

والبغتة فعلة من البغت ، وهو مصدر بغته الأمر، إذ نزل به من غير إشعار، وتؤوّل هنا باسم الفاعل لوقوعها منتصبة على الحال من الساعة أي باغتة ، أو تؤول (بمفعولين) أي مبغوتين أو مصدرا لفعل محذوف أي تبغتهم بغتة[1] .

3-2-8-صيغة (فَعِلَ) :

وقد جاءت للدلالة على المبالغة في الصفة أيضا أو التصاقها بصاحبها .

ومنها قوله تعالى : ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ﴾ [الأنعام :99].

فـ(الخَضِر) الشيء الذي لونه خضرا كما يقال أعور وعور ويطلق اسما على النبت الرطب الذي ليس بشجرة .

3-2-9-صيغة (فَعَلَاتٌ) :

وأتى ذلك في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ(93) ﴾ [الأنعام :93].

فـ (غمرات) على وزن فعلات ، والغمرة بفتح الغين ما يغمر أي يغم من الماء فلا يترك للمغمور مخلصا ، ثم شاعت استعارتها للشدة تشبيها لها بالشدة الحاصلة للغريق حين يغمره الماء ، وأتي بصيغة الجمع للدلالة على تعدد الغمرات بتعدد الظالمين فتكون مستعملة في حقيقتها، وقد يكون ذلك أيضا للدلالة على المبالغة في تهويل ما يصيب المشركين من أصناف الشدائد وتعدد أشكالها فلم يعبر عنها باسم مفرد .

[1] - ينظر تفسير البحر المحيط : مج: 4 -ج: 7 -ص: 107 .

3-2-10-صيغة (فعلان) :

وردت في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71)﴾ [الأنعام :71] .

فـ(حيران) حال من الذين استهوته الشياطين، وهو وصف من الحيرة ، يدل على عدم الاهتداء إلى السبيل ، وتطلق على التردد في الأمر الذي لا يعلم مخرجه، فيصير صاحبه مضطربا ، وهي دلالة تتضمنها هذه الصيغة فحيثما جاءت تدل على الحركة والاضطراب، وهنا دلت على حركة النفس واضطرابها .

ونقف عند هذا الحد من أبنية الأسماء : إذ ليس المقصود حصرها هنا أو حصر دلالاتها ، وإن كنا في كل مرة نشهد لياسا دلاليا تأتي به الصيغة الصرفية للاسم أو الفعل ، فمنها ما يلازم الصيغة الصرفية ومنها ما تضيفه الصيغة على البنى المجاورة لها ، فتسمح للفكر بأن يَجُول في مضامين ومعاني هذه الآيات مما لا يستوقف ا لمرء عند حد ، سواء كان ذلك دلالة على المبالغة في أمر ما أو تصوير شدته أو بيان هيئته حتى لكأنما يتمثل ذلك من خلال التلفظ بمقاطعه صامتة ، إضافة إلى الدلالة المعجمية والتي تتزاوج أحيانا وفق مقاطع الصيغة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4-التشكيل الصوتي ودلالاته :

لقد رتل الله القرآن ترتيلا فقال :﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [1]، وأمر رسوله أن يرتل القرآن فقال ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [2] ، والأمر لرسول الله ﷺ أمرٌ للمسلمين جميعا ، والترتيل هو مصدر رتّل يرتّل وهو وضع المجموعات في أرتال ، كل رتل منها طائفة مجتمعة ، وبين كل رتل ومايليه إنقطاع مؤقت ، وهو ما يدخل في الأداء الصوتي للقرآن ، فهو يشتمل على إعطاء الأصوات حقها من المد والغنة والسكت وما إلى ذلك مما يعد من قبيل الانقطاع المؤقت للأصوات التي تتكون منها الألفاظ .

وبهذا جاء إعتناء القرآن بالأصوات " من كونه يمثل الجانب العملي للغة" [3] ، كما أن اعتناء القرآن بالأصوات يجعل من "الآيات تزحم أقطار النفس . وأقطار الحس بلمسات مبدعة معجبة، فإذا كل مكرور مألوف من المشاهد والمشاعر جديد نابض كأنما تتلقاه النفس أول مرة وكأنما لم يطلع عليه من قبل ضمير إنسان " [4] .

وهكذا جاء القرآن طرازا فريدا من النظم تجتمع فيها مفردات يزيدها النسج إحكاما ورونقا، فقد قال ابن جني عن دلالة الأصوات على أحداثها في اللغة :" فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثير مايجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها .فيعدّلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدّره وأضعاف مانستشعره " [5] .

إلا أن هذا التنبيه من ابن جني لم يكن يغني عن التقصير في دراسته ، و"هذا التقصير لاينحصر في ما جاء من التراث الأدبي، فإهمال التشكيل الصوتي وارد في كتب المعاصرين إلا ما كان من الرافعي في شكله المنهجي وسيد قطب بشكله غير المنهجي، فما لمسوه يعد يسيرا بالنسبة لاهتمامهم بالصورة البصرية والإيحاءات " [6] .

---

[1] - الفرقان : 32 .

[2] - المزمل : 4 .

[3] - البنية اللغوية لبردة البوصيري : رابح بوحوش ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر - ص :17.

[4] - في ظلال القرآن :ج: 2-ص:1016 .

[5] - الخصائص لأبي الفتح عثمان ابن جني ، تحقيق محمد علي البجار ، المكتبة العلمية . دار الكتب المصرية (د ت):ج: 2-ص:157.

[6] - جمالية المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير : إعداد أحمد ياسوف ، دار المكتبي ،دمشق، سوريا ، الطبعة الأولى 1994 - ص:215.

ويمكن لنا في سورة الأنعام أن نتناول في هذا المبحث بعض الظواهر الصوتية ودلالاتها وتتمثل في :

4-1- النبر :

على الرغم من أنّ اللغة العربية ليست لغة نبرية صرفة، فإنّ بعض الباحثين العرب قد أومأ إلى ظاهرة النبر في اللغة العربية في الأوزان الصرفية ، ويمكن لنا أن نمثل ذلك في دراستنا للصورة بدور المد في الكلمة وأثره في ما قبله أو بعده فيها .

من ذلك مثلا وقوع النبر في كلمة﴿وحآجّه قومُه﴾[الأنعام :80] ، حيث نلتقي بما يسمى في أحكام التجويد بالمد الكلمي اللازم المثقل ، فيصور لنا المد في كلمة (حآجّه) والذي تعطى قيمته الزمنية في مابين خمس حركات أو ست طول تلك المحاجة التي كان يلقاها ابراهيم من قومه ، ثم تأتي الشدة بعدها لتهدي إلى تلك الصعوبة والضغط الذي كان يلاقيه ابراهيم منهم ، وتشددهم على مواقفهم الباطلة بالرّغم من وضوح الحجة.

ومثلها كلمة (الضّالين) في قوله تعالى : ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77)﴾ [الأنعام :77].

إذ أن حرف المد الأول والذي يقع عليه نوع من النبر، خصوصا وأنه اقترن بحرف مستعل يصور خروج الإنسان الماضي في طريق عن سبيله ، وهكذا كلما اتجه أماما كلما ابتعد، لتدل الشدة بعدها على تلك المشقة التي يجدها التائه في طريق معوج، ويستوقفنا المد الأخير والذي ينتهي بحرف أغن على ذلك العزاء الذي يحس التائه به حينما يجد نفسه قد فرّط في الأمر وفاته الطريق ، فكأنه نوع من الحداء يسلي به عن روحه نسيانا لمتاعب مسلكه .

وقل مثل هذا عن كثير من الكلمات التي تلهمك جانبا غير قليل من متعة الفكر أثناء توارد مقاطعها.

4-2-حكاية الصوت :

في الحقيقة أن هذا النوع من دلالة الحركات والحروف على المعنى تبع لما سبق، فمنه قوله تعالى : ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام : 14].

فالكلمتان هنا لهما نفس تركيبة الحروف غير أن ما يمكن أن نلحظه هنا هي تلك الدلالة التي تعطيها الحركة للمعنى ، إذ يكفي أن تغير حركة واحدة في الكلمة من الكسر إلى الفتح لينتقل معنى الفاعل

من الإيجاب إلى السلب دون إستدعاء كلمة أخرى محافظة على تكرار نمط الحروف لنوع من الانسجام والتناسق.

ومنه أيضا تكرار السين في قوله تعالى : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾ [الأنعام : 17].

فتكرار السين جعل للّفظ سلاسة في النطق ودلالة على المعنى، وعادة ما يكون هذا التكرار دالا على تكرار الحدث ، فحقيقة المس وضع اليد على الشيء ويستعمل مجازا في الإيصال، فكان الله سبحانه وتعالى يبتلي العبد من حين لأخر، كما أن في التخلص من الشدّة وفتح السين الأولى وإسكان الثانية نوع من التخفيف يظهر في لطف الرب بعبده أثناء إصابته بنوع من البلاء والضر ليجعل منه أمرا غير مقصود لذاته .

ومنه أيضا استبدال حرف بحرف للدلالة على الادعاء مثل قوله تعالى : ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام : 100].

فلم يقل (وخلقوا) لأنهم عاجزون عن ذلك وإنما جيء بالرّاء بدل اللام ليقرب دعواهم من (الخَرْق) أي خرق الأصل ، وهو تنزه الله سبحانه وتعالى عن الصاحبة والولد ، فكأنه نسب فعلهم إلى العيب والادعاء الكاذب ومخالفة الأصل ليتضمن الفعل الرد عليه .

ومنه أيضا تكرار الراء في قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا ﴾ [الأنعام : 06].

فدل تكرار الراء في (مدرار) على تكرار هطول المطر، والراء في نفسه حرف مكرر فكيف به إذا تكرر.

ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) ﴾ [الأنعام : 162].

فالصاد في (صلاتي) حرف مستعل وقوي ، واللام للإلصاق والملك فأخذت الصلاة من الصلة وهي اتصال الشيء بالآخر ومماسته له وكونه في أكثر أحواله بعضا له كاتصال الأعضاء بالإنسان، وذلك دلالة على قوة رابطة العبد بربه إذ لا يمكن له الاستغناء عنه .

و"من وراء هذا ما اللطف فيه أظهر ، والحكمة أعلى وأصنع وذلك أنه قد ينضاف إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها ترتيبها وتقديم ما يضاهي أول الحدث وتأخير ما يضاهي آخره ، وتوسيط ما يضاهي أوسطه ، سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب "[1] .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام :136] .

فالحاء في الحرث لصحلها تشبه آلة حادة أو مخالبا إذ غارت في الأرض، و الرّاء الساكنة حرف مكرور تدل على تكرار العمل ، و الفاء للنفث و البث للتراب و هذا أمر تراه محسوسا محصلا، و في أمثاله كثير .

و إذا كان معنى حكاية الصوت أن جرس أصوات الكلمة يوحي بمعناها الذي رصد لها في المعجم فيلتقي الجرس و العرف حينئذ على مصادفة و محض اتفاق، فانتقاء اللفظ بقصد استعماله يكون عن تعمد و حسن اختيار .

و هناك أمر آخر لم يعرف باسم الحكاية غير أن اختيار الكلمات يقع فيه لجرسها و إن كان الجرس لا يتفق مع المعنى المعجمي، و يعرف هذا النوع في عرف اللغويين بالألفاظ السلسة، أو بالكلمات الشعرية عند النقاد، و منه قوله تعالى : ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(101) ﴾ [الأنعام : 101] .

حيث تتجه مخارج الأصوات في كلمة (بديع) من الأمام إلى الخلف أي من الشفاه إلى الحلق ، فالباء حرف شفوي ، ثم الدال الذي هو حرف نطعي لتصل عبر حرف المد الياء الذي هو جوفي إلى الحلق الذي هو مخرج العين ، فكانت أسلس شيء على اللسان ، وهذه الياء المدية تعطي للقارئ فترة من التأمل ليتصل نظره بعقله و قلبه ، فيعي بواسطة حدسه الظاهر في الخارج ما يدعوه إلى الاقتناع في سريرته ، فسهولة النطق تنم عن يسر طريق الاقتناع .

وصدق ابن جني إذ قال عن مثل هذا: " فهذا و نحوه إذ أنت أتيته من بابه ، و أصلحت فكرك لتناوله و تأمله أعطاك مقاده و أركبك ذروته، وجلا عليك بهجاته و محاسنه ، و إن أنت تناكرته ، و قلت هذا أمر منتشر ، و مذهب صعب موعر حرمت نفسك لذته ، و سددت عليها باب الحظوه به"[2] .

---

[1] - الخصائص: ج: 2-ص:162.

[2] - المصدر نفسه: ج: 2-ص:162.

و يدخل ضمن هذا المبحث أيضا ما يسمى بالمحسنات البديعية مثل الجناس الذي مر بنا في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام :14] .

و قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام :100].

فاختلاف المخرج بين اللام الجانبية و الرّاء الملتوية مع قرب معنى الإيجاد في الفعلين واختلاف طابعهما هم المقصود هنا ، لأن الخلق إبداع والخرق ادعاء أخرق للإيجاد .

و منه أيضا قوله تعالى : ﴿ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ [الأنعام :99]، مما يسمى بالجناس المقلوب .

وقوله تعالى : ﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ [الأنعام :99].

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [الأنعام :38].

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ (9) ﴾ [الأنعام : 09]

و غيرها.

و جاء هذا النوع من التجنيس تسخير واع لما يمكن للقيم الصوتية و ظاهرة الحكاية أن تثيره في نفس المتلقي ، إذ أن النص القرآني يحسن استعماله و يحمله من الأغراض ما لا يمكن الوصول إليه إلا من خلاله .

4-3- الفاصلة :

حين سمع كفار قريش القرآن لأول مرة حاروا في أمر نظمه، فقد كانوا يعرفون من ضروب الكلام العربي لأيامهم الشعر و الخطابة و السحر و سجع الكهان، و لم يكن القرآن في تراكيبه و لا في أسلوبه يشبه واحد من هذه الأضرب ، و لكنهم لم يؤمنوا بأن هذا الطراز الفريد من النظم هو من وحي السماء فنسبوه إلى البشر منكرين مصدره الإلهي، وكان عليهم و قد أنكروا ذلك أن يلحقوه بنوع من أنواع الكلام التي تقدم ذكرها، فكان أقرب ما نسبوه إليه هو السحر و الشعر.

إلا أنّ القرآن كان يجمع بينما كان السحر يفرق ، و القرآن يهدي و السحر يضل ، كما نفى القرآن الزعم الثاني بقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾[1]، و ذم سلوك الشعراء في قوله تعالى : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ... ﴾[1] .

[1] - الحاقة :41.

غير أن ما دعى القرشيين إلى اتهام القرآن بالشعر هو تلك النهاية التي تنتهي الآية بها، و التي تقرب من قافية الشعر في نظرهم بما توحيه من تناسق وانسجام، و التي تسمى بالفاصلة، " لأنه ينفصل عندها الكلامان، و ذلك أن آخر الآية فصل بينها و بين ما بعدها "[2].

و إذا كانت القافية في الشعر تطابقا تاما بين عدد من الحروف في آخر كل بيت من القصيدة، كما هو الحال في أية قصيدة جاهلية أو إسلامية جارية على شروط عمود الشعر التي تمسك بها الذوق العربي فإنّ الفاصلة لا تلتزم شيئا من ذلك ، إذ نراها تجري في عدد من آيات السورة على نمط ، و لكنها سرعان ما تتحول عنه إلى نمط آخر .

فقد يكون ما يقوم عليه النمط مقصورا على حرف مد فقط (عليم – المشركين –عظيم) من الآيات [13 – 14 –15] من سورة الأنعام ، و قد يكون النمط على صفة من صفات حرف في الفاصلة كصفة الضيق مثلا ، والمقصود ضيق الفم عن طريق تقريب جزء من جسم اللسان من الحنك الأعلى أثناء النطق و هي الصفة التي يشترك فيها الواو و الياء كما هو الحال في سورة الأنعام .

و قد جاءت نهايات الآيات في سورة الأنعام على النحو التالي :

بالحرف:

1- ون : أتت بصيغة الفعل 78 مرة ، و بصيغة اسم الفاعل المجموع 12مرة، و بصيغة الوصف مرة واحدة .

2- ي ن : جاءت بصيغة اسم الفاعل المجموع 46 مرة، و بصيغة اسم المفعول مرتين .

3- ي م : وردت 13 مرة بصيغة الوصف .

4- ي ر: 4 مرات .

5- ي ل : 3 مرات .

6- ي ظ : مرة واحدة .

و مع ذلك فإن الفاصلة أتت في نهاية كل آية لتحقق للسورة خاصة و النص القرآني عامة جانبا جماليا لا يخطئه الذوق السليم .

و للفاصلة بتركيب الآية التي ختمت بها إحدى علاقتين :

---

[1] - الشعراء : 224.

[2] - جمالية المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير :ص:309.

التكميل : و به تكون الفاصلة جزءا من تركيب الآية مكملة لبنيتها فلا يتصور تمام المعنى إلا بهـا كقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) ﴾ [الأنعام :75].

فإراءة إبراهيم حقيقة هذا الملك ملك السماوات و الأرض و اطلاعه على الأسرار المكفونة في صميم الكون ، و كشف الآيات المبثوثة له على صفحات الوجود، لكي يصل بعقله و فطرته إلى دلائل الـهدى و موحيات الإيمان، ليزداد يقينا بالإله الحق و إنكارا لعبادة الآلهة الزائفة .

و منه قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (14) ﴾ [الأنعام :14] .

و قوله تعالى: ﴿ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) ﴾ [الأنعام :24].

و قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (25) ﴾ [الأنعـام :25] وغيرها .

فكل آية مما سبق تنتهي بكلام ذي علاقة عضوية سواء من حيث التركيب و الأسلوب بما سبق من بقية الآية ، فلا تكاد الآية تستغني عنه دلاليا لشدة الارتباط بينه و بين بقية أجزائها.

ب – التذييل : و ذلك أن تأتي الفاصلة بعد تمام الآية فتكون تذييلا للآية كالتعليق أو التعقيب على محتواها كقوله تعالى : ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (13) ﴾ [الأنعام :13] .

وإلى هنا نكون قد أتينا على آخر فصل في هذه الرسالة (المذكرة) تم من خلاله رصد ما تضفيه المفردة سواء من حيث بنيتها الصرفية أو تشكيلها الصوتي إلى البنية الدلالية للآية بعامة، مما يهدي القارئ والسامع لهذا الكتاب المعجز في كل مرة إلى دليل وبرهان يزداد به يقينا وإيمانا ، فهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخَـــاتـــــمَة

إنّ تعدد الظواهر اللغوية المتعلّقة بالبنية في السورة المدروسة يمكن الباحث والدّارس أن يستشـــرف على كل ظاهرة فيها ويقيم لها مبحثا مستقلا، وعلى ضوء هذه الدراسة لتلـــك الظـــواهر يمكـــن لنـــا أن نستخلص النتائج التالية التي تتضمّن الإجابة عن إشكالية هذا البحث:

- تعدّ ظاهرة الحذف أحد أساليب الإيجاز البلاغية وإن كانت ظاهرة نحوية لها تعلّق أساسي بالبنية فإلى جانب قيمته الاقتصادية في التعبير، والتخفيف من طول تركيب السلسلة اللغوية، فإنّ أي نمط من أنماط الحذف في السورة سيق لمزيد بيان، بل ولتقريب الصورة من الأذهان ، وأتى على أنماط متعدّدة بدءً بحذف المفردة مهما كان موقعها النحوي، فرأينا حذف الصفة والموصوف، والمبتـــدأ والخبر،والفعـــل والمفعـــول ووصولا إلى حذف جملة بأكملها،كحذف جملة جواب الشرط، وفي كل تركيب يفضي الحذف إلى ســـر بلاغي. كالدّلالة على التعظيم أو لقصد المبالغة والتهويل،أو التخفيف ،أو رعاية الفاصلة.

- شكّل الالتفات لبنة يمتزج فيها النحو بالبلاغة، فيتلوّن الضمير وفقه في بنية الآية بحسب مقامات الخطاب، وينقلب من التكلّم إلى الخطاب أو إلى الغيبة أو عكسهما، مساهما بذلك في تجديد نشاط المُتلقّين واستجلاب صفائهم وإشراكهم في الخطاب.

- تميّز التقديم والتأخير بحضوره الخاص ضمن الظواهر اللّغوية البارزة في السورة ، إذ كثيرا ما نجـــد العنصر اللغوي ينتقل من مكانه إلى مكان أعلى منه رتبة فيتقدم عن مكانه الأصلي إمّا لاهتمام به أو تنويـــه بشأنه أو توكيده أو قصد حصر أو تخصيص.

- إنّ أسلوب الخبر في الخطاب القرآني لا يعني ما هو متعارف عليه من أن يقال لقائله إنّه صـــادق أو كاذب، بل نعني فيه إثبات ما هو ثابت في الخطاب ونفي ما هو منفي بذلك ممّا ليس هو بطلب، فالقرآن كلّه صدق و حق وإن أطلق عليه خبرا.

- جاء تركيب الجملة الاسمية المثبتة بصور متنوّعة، ظهر فيها المبتدأ والخبر بأوضاعهما المتعدّدة مـــن حيث التعريف و التنكير، والتقديم والتأخير، ومنها المجرّدة من النّواسخ ،ومنها ما هي منسوخة بـــ (إنّ) وأخواتها أو(كان) وأخواتها جيء بها لقصد توكيد الخبر وتقويته، وهي في عمومها تضمّنت الدّلالـــة علـــى ثبات الوصف ودوامه .

- وردت الجملة الاسمية المنفية أقلّ من سابقتها، واستُخدم فيها (لا) و (ما) عاملتين و مهملتين.

- فاق استعمال الجملة الفعلية المثبتة كلّ أنماط الجمل الأخرى لكونها الأصل في غيرهـــا، وجـــيء بالفعل فيها ماضيا ومضارعا، دالّة على تجدّد الأمر الذي تقرّره.

أمّا الجملة الفعلية المنفية فإمّا أنها جاءت لنفي منقصة أو رد زعم باطل، كل ذلك يتم باستخدام بارع لأدوات النفي، حيث ورد معظمها منفيا بـ (لا) لشموليتها، و (ما) لاختصاصها بالدخول على المضارع والماضي.

– شكّل الاستفهام معظم جمل الطلب وكان غالبه بالهمزة لمرونتها في الدخول على الأسماء والأفعال، وخرج فيها إلى معان أخرى كالإنكار والتوبيخ والتهديد، كما استعمل الاستفهام في التقرير والإلجاء في باب المحاجّة، وكان ذلك مع جلّ أدواته اسما كانت أم حرفا ماعدا (كيف) التي وُظّفت للدّلالة على الحال.

– تنوّعت بنية الأمر في السورة من خلال استثمار مجمل صيغه، فمن الأمر بصيغة الفعل إلى الأمر بالمصدر واسم فعل الأمر والمضارع المقرون بلام الأمر، وذلك تفنّنا في أساليب الإبلاغ، وتوجيها للدّلالة وفقا لمقاصد الشرعية من إيجاب لشيء أو استحبابه أو إباحته، كما انتدب الأمر في بعض الصيغ للدّلالة على التعظيم أو الامتنان. أو التهديد أو التعجيز والاحتقار.

– جاء أسلوب النهي بالطريق المعتاد وهو المضارع المقترن بـ (لا) الناهية، بصيغة المفرد تارة، وبصيغة الجمع تارة أخرى، كماجاء النهي عن طريق الإخبار بفعل النهي أو لازمه الذي هو فعل التحريم في أكثر أحواله.

– دلّت قلّة نسبة بنى النهي في مقابل بنيتا الأمر والاستفهام على قصر المحظورات في أشياء محدودة لكنّها عظيمة الخطر سواء تعلّق أمرها بالاعتقاد أو نظام الحياة بشكل عام، وعلى سعة هذا الدّين ويسره ولطف الله بعباده.

– وفي جانب دراسة المفردات فقد شكلت المفردة لبنة هامة من خلال توظيفها المتميّز سواء كانت اسما أو فعلا لتضفي على النص القرآني أثرا جماليا بدلالتها المعجمية أو أوزانها الصرفية أو إيقاعات أصواتها المتناسقة وحركاتها التي تشارك الحروف في محاكات معانيها أو تزاوجها وتمازجها جميعا، فاتّسمت بجمال الشكل والمضمون في الجمع بين قوّة التأثير ومتعة الإنغام ، فهي وإن كانت بنية في بنية أعظم منها تمثل الجملة إلا أن بريقها يرتسم في الحس والوجدان بما تنميه إليها من سحر وبيان .

– تعدّ المفردة إحدى أهمّ جزئيات النّظم بموافقتها للسياق الكلّي الناشئ عن العلاقات النحوية،ومن ثمّة فإنّ البحث البلاغي بدوائره الثلاث المتمثّلة في دائرة الإفراد (علم البيان) ودائرة التركيب (علم المعاني) ودائرة الزوائد التحسينية (علم البديع) يئول إلى وعي شمولي يوحّد بين المباحث في اتّصالها بالخطاب القرآني والذي جعل منه مناطا آخر للإعجاز.

- إنّ المفردة خطوة تمهيدية لتركيب النّاقل للدّلالة البلاغية حسب الأشكال التّعبيرية المتعدّدة التي يرد عليها، والتي تسمح لأصغر الأدوات أن تكون أكثر خطورة في الدّلالة على المراد.

ولا شكّ أنّ البحث في لغة القرآن الكريم ممتع على صعوبته، وهذا لأنّ الدّارس فيه لا يُحرم استفادة منه، فحيثما يمّم الباحث وجهته لاح له من عظيم النتائج ما يبهره، وفتح له من أبواب العلم ما لم يكتشـــفه سلف. فمازال للباحثين جوانب كثيرة يمكنهم دراستها ومعرفة أسرارها من هذه اللغة المباركة، وفي هـــذا الكتاب المقدّس.

وأخيرا آمل أن أكون قد وفقت في عملي المتواضع هذا فما كان فيه من صواب فمن الله وما كان غير ذلك فهو من نفسي ومن الشّيطان، فالله أسأل أن يتجاوز عني ما كان فيه من الزّلل والنقصان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

- فهرس الشـــواهد القرآنية.
- قائمة المصـــادر والمراجع.
- فهرس المـــوضـــــوعات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الشواهد القرآنية

السورة	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾	43	77
البقرة	﴿ وبالوالدين إحسانا ﴾	83	77
البقرة	﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾	177	43
النساء	﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ﴾	15	34
المائدة	﴿ وامسحوا برؤوسكم ﴾	06	55
المائدة	﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾	107	77
يونس	﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد ﴾	92	86
هود	﴿ فهل أنتم مسلمون ﴾	14	71
النحل	﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار ﴾	78	26
الإسراء	﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾	23	97
الإسراء	﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقكم وإياكم ﴾	31	27
طه	﴿ فاقض ما أنت قاض ﴾	72	97
الفرقان	﴿ ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله ﴾	17	53
الفرقان	﴿ ورتلناه ترتيلا ﴾	32	114
الشعراء	﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾	224	118
لقمان	﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾	13	59
الأحزاب	﴿ هلم إلينا ﴾	18	84
الأحزاب	﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾	23	94
فاطر	﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾	08	85
فاطر	﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا ﴾	09	54
الصافات	﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون ﴾	22	75
ص	﴿ كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص ﴾	02	43
ص	﴿ وهل أتاك نبأ الخصم ﴾	21	71
الزخرف	﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ﴾	19	52
الذاريات	﴿ وما أريد أن يطعمون ﴾	57	62
الواقعة	﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾	79	77
الطلاق	﴿ لينفق ذو سعة من سعته ﴾	07	77
الحاقة	﴿ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ﴾	41	118
الجن	﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾	18	38
المزمل	﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾	04	114

قائمة المصـــــادر و المراجـــــع

القرآن الكـــريم برواية حفص عن عاصم .

1-الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان (د، ت) .

2-إحياء النحو : إبراهيم مصطفى ، لجنة التأليف و النشر ، القاهرة – 1937 .

3-الألسنية العربية : طحان ريمون ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، الطبعة الثانية ،1981 .

4-في أصول النحو : سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، سوريا ، الطبعة الثالثة ، 1964.

5-الأصول في النحو : أبو بكر محمد بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت 316 هـ) ، تحقيق عبد الحسن الفتلي ، مطبعة النعمان ، النجف ، 1973 .

6-إعجاز القرآن : أبو بكر الباقلاني ، تحقيق :أحمد صقر ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، مصر، (د ت).

7-إعجاز القرآن و البلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنـــان ، الطبعـــة الأولى، 2000 .

8-إعراب القرآن الكريم : الدكتور : محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية بمصر ، 1996 ، ج 6 .

9- أساليب النفي في القرآن الكريم : الدكتور أحمد ماهر البقري ، دار المعارف ، مصر ، 1980 .

10- من أسرار اللغة : الدكتور : إبراهيم أنيس ، المكتبة الأنجلو مصرية ، الطبعة السادسة ، 1978

11-الأسلوب دراسة لغوية إحصائية : الدكتور سعد مصلوح ، دار البحوث العلمية ، القاهرة ، الطبعـــة الأولى 1980 .

12-أشتات مجتمعات في اللغة و الأدب ، عباس محمود العقاد ، دار المعارف ، مصر ، 1963 .

13-البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير و التأثر : الدكتور : أحمد مختـــار عمـــــر ، عالـــــم الكتب، القاهرة ، الطبعة السادسة ، 1988 .

14- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفـــضل إبـــراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت (د، ت) .

15- البلاغة تطور و تاريخ : الدكتور : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثامنة (د، ت) .

16- بلاغة الكلمة و الجملة و الجمل : الدكتور : منير سلطان ، دار المعارف بالإســـكندرية ، الطبعـــة الثالثـــة 1996 .

17- البلاغة العربية قراءة أخرى : الدكتور : محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، 1997 .

18- البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري : الـــدكتور رابـــح دوب ، دار الفـــــجر للنـــشر والتـــوزيع، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1997 .

19-البنية اللغوية لبردة البوصيري : رابح بوحوش ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .(د ت).

20 -البيان و التبيين : أبو عثمان الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، طبعة الخانجي ، القاهرة ، 1948 .

21-بينات المعجزة الخالدة :حسن ضياء الدين عتر ، دار النصر ، حلب سوريا (د ت).

22- التبيان في إعراب القرآن : لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، تحقيق : محمد علسي البجاوي ، دار الجيل، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1987 .

23- التعريفات للشريف الرضي : مكتبة لبنان، بيروت ، 1978 .

24- التعليقات الوافية على شرح الأبيات الثمانية (نحو الجمل) : عبد العزيز الهادي ، دراسة و تحقيق : مختار بوعناني ، منشورات الفجر ، وهران الجزائر ، 1995 .

25- تفسير البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي الغرناطي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1983.

26- تفسير التحرير و التنوير : محمد الطاهر ابن عاشور ، الدراسة التونسية للنشر تونس ، 1984 .

27- التفسير الكبير : الإمام الفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة (د، ت) .

28- التوجيه النحوي للقراءات في سورة البقرة: الطاهر قطبي، ديوان المطوعات الجزائرية بن عكنون، الجزائر 1991.

29 جامع البيان عن تأويل آي القرآن : تأليف : أبي جعفر بن محمد جرير الطبري (ت 310 هـ) ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، 1984 .

30-الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي ، (د، ط) ، (د ، ت) .

31-جمالية المفردة القرآنية في كتب الإعجاز و التفسير : إعداد : أحمد ياسوف ، دار المكتبي ، دمشق سوريا، الطبعة الأولى ، 1994 .

32-الجني الداني في حروف المعاني : الحسن بن القاسم المرادي (ت 749هـ) ، تحقيق : فخر الدين قباوة، المكتبة العربية ، حلب ، الطبعة الأولى ، 1972 .

33- الحيوان : أبو عثمان الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1969 .

34- الخصائص: أبو فتح عثمان ابن جني، تحقيق : محمدعلي النجار، المكتبة العلمية، دار الكب المصرية، (د ت)

35- دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، تعليق : محمود شاكر، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية، 1989

-دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1978 .

36-ديوان الخنساء : تحقيق و شرح : كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1996 .

37- رصف المباني : أحمد عبد النور المالقي (ت 702 هـ) ، تحقيق : أحمد الخراط ، مطبعة زيد ابن ثابت دمشق ، 1975 .

جمعية التراث للتأليف عبد القادر للعلوم الإسلامية

38- رسائل الخاحظ(العثمانية) : تحقيق : عبد السلام هارون ، نشر السندوبي 1352هـ .

39- في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار الشروق الطبعة السادسة عشر ، 1990 .

40- الكتاب : أبو بشر سيبويه ،تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى (د ت).

41- كتاب الأضداد : محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت 1987 .

42- الكليات:الكفوي (ت 1094 هـ)، تحقيق : عدنان درويش و محمد المصري ، وزارة الثقافة، دمشق الطبعة الثانية ، 1981 – 1982 .

43- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الإمام محمود بن عمر الزمخشري (ت 528 هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1987 .

44- اللغة العربية معناها و مبناها : الدكتور : تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1989 .

45- محاضرات في الألسنية العامة : فرديناند دوسوسير ، ترجمة : يوسف غازي و مجيد النصر ، منشورات المؤسسة الجزائرية للطباعة ، 1986 .

46- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : القاضي أبي محمد بن عبد الحق غالب بن عطية الأندلسي (ت 645 هـ) ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1993 .

47- مختصر النحو : الهادي الفضلي ، دار الشرق ،جدة ، المملكة العربية السعودية ، 1990 .

48- مدخل إلى دراسة اللغة العربية : محمود أحمد نحلة ، دار النهضة العربية ، بيروت 1988 .

49- المدرسة النحوية في مصر و الشام : عبد العال سالم مكرم ، دار الشرق ، الطبعة الأولى ، 1980 .

50- المركب الإسنادي الاسمي من خلال القرآن الكريم ، الدكتور أبو السعود حسنين الشاذلي ، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ، الطبعة الأولى ، 1990 .

51- منهاج البلغاء وسراج الأدباء :أبو الحسن حازم القرطاجني ، تقديم و تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، دار العرب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، 1981 .

52- المعاني الثانية في القرآن الكريم : الدكتور : فتحي أحمد عامر ، منشأة المعارف الإسكندرية القاهرة (د ط) (د، ت) .

53- معاني القرآن : الفراء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ، 1955 .

54- معيار العلم : أبي حامد الغزالي ، تحقيق : سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة (د ط) (د ت) .

55- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري ، تحقيق : حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، 1991 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

56 مفتاح العلوم : السكاكي : ضبط و تعليق : نعيم زوزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1983 .

57- المفردات في غريب القرآن : تأليف : أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502 هـ) ، تحقيق و ضبط : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة بيروت لبنان ، (د ، ت).

58- في النحو العربي نقد و توجيه : الدكتور : مهدي المخزومي ، المكتبة العصرية ، لبنان ، 1964 .

59- في النحو العربي قواعد و تطبيق :الدكتور : مهدي المخزومي ، مطبعة مصطفى البابلي ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1966.

60- النظم البلاغي بين النظرية و التطبيق : عبد الرزاق حسن إسماعيل ، دار الطباعة ، المحمدية ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1983 .

61- النكت في إعجاز القرآن: أبو بكر الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، الطبعة الرابعة، دار المعارف، مصر، (دت).

62- نقد الشعر : قدامة بن جعفر ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1967 .

63- الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها : أبو الحسن أحمد بن فارس ، تحقيق و تقديم : مصطفى التومي ، مؤسسة بدران للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، 1964 .

64- عبقرية العربية في رؤية الإنسان و الحيوان و السماء و الكواكب : الدكتور : لطفي عبد البديع ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، الطبعة الأولى ، 1997.

65- علم الدلالة العربي : فايز الداية ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر (د ت).

66- علم المعاني : درويش الجندي ، مطبعة نهضة ، مصر (د ، ت) .

67- علوم البلاغة البيان و البديع و المعاني : أحمد مصطفى المراغي ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى 2000 .

68-59-الفريد في إعراب القرآن المجيد: لابن أبي العز الهمداني (ت 643 هـ) . تحقيق محمد حسين النمر – فؤاد علي . دار الثقافة . الدوحة قطر . الطبعة الأولى .1991.

69- الفعل في القرآن الكريم تعديته و لزومه : أبو أوس إبراهيم الشمسان ، ذات السلاسل للطباعة و النشر الكويت ، 1986 .

70- فقه اللغة في الكتب العربية : عبده الراجحي ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، 1979 .

71- القرآن الكريم تاريخيته و لغته : الدكتور : السيد عبد الغفار ، دار المعرفة الجامعية ، 1996 .

72- شرح ابن عقيل : تحقيق محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت لبنان ، 1995 .

73- شرح ألفية ابن مالك: تحقيق و تعليق : محمد عبد العزيز العبد، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى 1991 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

74- شرح كافية ابن الحاجب : محمد بن الحسن الإستراباذي الرضي (ت 688 هـ) دار الكتب العلمية بيروت. لبنان (د ، ت) .

75- شرح المفصل في صناعة الإعراب للزمخشري : أبو البقاء موفق الدين ابن يعيش (ت 642 هـ) المطبعة المنيرية . القاهرة ، 1928 .

76- شرح قطر الندى و بل الصدى : للعلامة جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت 761 هـ) ، حققه : محمد خير طعمه حلبي ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1998 .

77- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي ، تحقيق :بعد السلام هارون و الدكتور عبد العال سالم مكرم ،دار البحوث العلمية ، القاهرة ، 1975.

المعاجم

78- لسان العرب :ابن منظور : دار صادر ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 2000.

79- المعجم المفصل في النحو العربي : عزيزة فوال بابتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،، الطبعة الأولى 1992 .

80- معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بسيروت ، الطبعة الأولى 1990 .

81- الصحاح : أبو نصر إسماعيل ابن حماد الجوهري ، (ت 398 هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين ، بيروت ،لبنان، الطبعة الأولى ، 1979 .

82- قاموس اللسانيات : عبد السلام المسدّي ، دار العربية للكتاب ، 1984 .

83- القاموس المحيط : الفيروز أبادي ، دار الجيل بيروت، لبنان ، 1978 .

المراجع الأجنبية :

1-Aspects de la théorie syntaxique chomisky.trad :Jean claude.Milner.ed de seuil .Paris 1978.

2-La linguistique Cartésienne suivie de la nature formalle du langage chomsky.trad :N Delance et D. Sperber . ed de seiul .Paris 1969.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الموضوع ..... الصفحة
مقدمة ..... أ

مدخل

1- أهمية القرآن في الدرس النحوي و البلاغي 02
2- مفهوم البنية النحوية والمفرداتية 07

الفصل الأول : الظواهر النحوية البلاغية البارزة في السورة

1 - الحذف 12
1-1- مفهوم الحذف 12
1-2- أنواع الحذف ودلالتها البلاغية 13
1-2-1- حذف المبتدأ 13
1-2-2- حذف الخبر 15
1-2-3-حذف الموصوف 16
1-2-4-حذف المفعول به أو أحد المفعولين 17
1-2-5- حذف الفعل 19
1-2-6-حذف المضاف 19
1-2-7-حذف جواب الشرط 20
2-الالتفات 22
2-2-أنواعه 23
2-2-1- النوع الأول 23
2-2-2-النوع الثاني 24
2-2-3-النوع الثالث 24
2-2-4-النوع الرابع 25
2-2-5-النوع الخامس 25
3 - التقديم و التأخير 26
3 -1 أنواع التقديم ودلالاتها البلاغية 26
3 -1 -1 النوع الأول 26
3-1-2 النوع الثاني 28

الفصل الثاني : البنية النحوية للجملة الخبرية ودلالتها البلاغية

الجملة 32
1 - الجملة الاسمية المثبتة 33
1-2 - أنواعها ودلالاتها البلاغية 33
1 -2 - 1 -الجملة الاسمية المجردة من النواسخ 33
1- 2 -2 الجملة الاسمية المنسوخة بـ إنّ و أخواتها 37

1-2-3-الجملة الاسمية المنسوخة بـــ كان و أخواتها 40
2 - الجملة الاسمية المنفية 43
2-2- أنواعها و دلالاتها البلاغية 44
2-2-1 - الجملة الاسمية المنفية بـــ"لا" 44
2-2-2 - الجملة الاسمية المنفية بـــ"ما" 45
2-2-3 - الجملة الاسمية المنفية بـــ"ليس" 47
2-2-4 - الجملة الاسمية المنفية بـــ"كون منفي" 48
3 - الجملة الفعلية المثبتة 50
3-2 - أنواعها و دلالاتها البلاغية 50
3-2-1 - الجملة الفعلية ذات الفعل اللازم 50
3-2-2 - الجملة الفعلية المثبة ذات الفعل المتعدي 51
4 - الجملة الفعلية المنفية 58
4-2 - أنواعها و دلالاتها البلاغية 58
4-2-1 - الجملة الفعلية المنفية بـــ "لم" 58
3-2-2 - الجملة الفعلية المنفية بـــ"لن" 60
3-2-3 - الجملة الفعلية المنفية بـــ" ما" 60
3-2-4 - الجملة الفعلية المنفية بـــ" لا" 61

الفصل الثالث : بنية الجملة الطلبية ودلالتها البلاغية

بنية الجملة الطلبية 65
1- جملة الاستفهام 66
1-2-أنماطها ودلالتها البلاغية 66
1-2-1--الاستفهام بالهمزة 66
1-2-2- الاستفهام بـــ (هل) 71
1-2-3-الاستفهـــام بـــ (من) 72
1-2-4- الاستفهام ببقية أسماء الاستفهام 74
2- جملة الأمر في السورة 77
2-2-أنماطها و دلالاتها البلاغية 78
2-2-1- الأمر بالصيغة 78
2-2-2-الأمر بصيغة المضارع المقرون بلام الأمر 83
2-2-3-الأمر بالإخبار بفعل الأمر 83
2-2-4-الأمر باسم فعل الأمر 83
2-2-5- الأمر بالمصدر 84
3-جملة النهي في السورة 85
3-2-أنماطها ودلالتها البلاغية 85
2-2 النهي الموجه إلى المفرد 85

3-2-2 النهي الموجه إلى الجماعة 88
4- جملة النداء و الدعاء 91
4-2- أنماطها ودلالتها البلاغية 91
4-2-1- النمط الأول: النداء بالأداة (يا) 91
4-2-2- النمط الثاني: النداء بالهمزة 93
4-2-3- النمط الثالث: النداء بحذف الأداة 93

الفصل الرابع: بنية المفردة ودلالتها البلاغية

1- المفردة و وعلم الدلالة 96
2- أنماط المفردات الواردة في السورة 99
3- البنية الصرفية للمفردة و دلالتها البلاغية 101
3-1- مباني الأفعال 101
3-1-1- الفعل اللازم المجرد 101
3-1-2- الفعل اللازم المزيد 103
3-1-3- الفعل المتعدي المجرد 105
3-1-4- الفعل المزيد المتعدي 107
3-2- مباني الأسماء 109
3-2-1- صيغة (فاعل) 109
3-2-2- صيغة الفاعل من غير الثلاثي (مُفْعِل) 110
3-2-3- صيغة "أفعل" التفضيل 110
3-2-4- صيغة (مُسْتَفْعِل): 110
3-2-5- صيغة (فعلوت) 111
3-2-6- صيغة (فعيل) 111
3-2-7- صيغة (فعلة) 112
3-2-8- صيغة (فَعْل) 112
3-2-9- صيغة (فَعَلاَتٌ) 112
3-2-10- صيغة (فعلان) 113
4- الشكل الصوتي ودلالاته 114
4-1- النبر 115
4-2- حكاية الصوت 115
4-3- الفاصلة 118
الخاتمة 122

الفهارس

فهرس الشواهد القرآنية 126
فهرس المصادر و المراجع 127
فهرس الموضوعات 132

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية